نشأت

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من تفسير ابن كثير

وشروح أبي حامد الغزالي

إعداد وتقديم

نشأت المصري



للنشر والتوزيع والتصدير

١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة

القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

بســم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

● إن فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تمس حياة المسلمين بمختلف طبقاتهم فى كل زمان ومكان .

● وفى السنوات الأخيرة أثير الجدل حول هذا الموضوع الحيوى على جميع المستويات وتدرجت فيه الأقوال والآراء واختلط بعضها بأهداف دنيوية وتحزبت كل فئة لما ترمى إليه ، وعندما تختلط الأمور وتذهب أقوال العلماء إلى آفاق شتى يحرص المسلم على العودة إلى منابع الفكر الإسلامى حتى لا تتوه من عقله الجذور فى زحام الأوراق الجديدة .

● ولا شك أن مؤلفات ابن كثير والغزالى هى من أمهات الكتب ، وبالطبع ليس بين العالمين الجليلين وبين أحد من سكان زماننا مصلحة أو مشادة بحيث نستطيع أن نقرأ لهما دون تحفظ مسبق أو دون اتهام بسوء النوايا .

● لقد غابت عنا فى هذا الزمان حقائق كثيرة وتحركت العديد من الأولويات والبديهيات عن مواضعها وآن أن ترجع إلى ما كانت عليه .

● وحين نرى حانات الخمور تفتح أبوابها فى سلام فى قلب مدن إسلامية عريقة .

● وحين يكون النفاق سيد المجالس وطريق المناصب .

● وحين تصبح الغيبة والنميمة زاد الناس اليومى .

● وحين يـدوى الأذان بأشرف نداء والناس مكبلين فى ضعفهم وغفلتهم خلف مكاتبهم أو فى الطرقات .

● وحين تكون الرشوة لغة شائعة .

● وحين ... وحين ... وحين ... .

● لابد أن نذكر ما أمرنا الله به ، ولابد أن نعرف الصيغة العملية لتحقيق ذلك ، ولن يحار سائل إذا تدبر القرآن والسنة .

● ما أحوجنا إلى من يأمرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر مهما كان مصدر هذا الأمر أو النهى ، إن كان من متطوع أو على يد محتسب ، ولا يجب بحال أن يستنكف الإنسان إذا كان من يقوم بأمره ونهيه - برفق - دونه فى المستوى المادى أو الاجتماعى حتى لا يبوء بالخسران .

قال تعالى : ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد** ﴾ [البقرة : ٢٠٦] .

- وقبل كل شىء وبعده لا ينبغى أن تغيب عنا الغاية الأولى والرئيسية من خلق الإنسان وهى عبادة الله تعالى :

﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

- ويضعنا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى دائرة تلك البديهية حتى لا تغيب عن وعينا .

- ويقول ابن تيمية فى كتاب الحسبة « جميع بنى آدم لابد لهم من طاعة آمر وناه ، فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم مصيبين تارة ومخطئين تارة أخرى .... وإذا كان لابد من طاعة آمر وناه فمعلوم أن دخول المرء فى طاعة الله ورسوله خير له وذلك هو الواجب على جميع الخلق ... ولو كان المرء وحده لكان يأمر نفسه وينهاها إما بمعروف وإما بمنكر كما قال تعالى : ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ .

- إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات .. وكان الذى يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر بسبب الأمر والنهى لم يكن مأمورا به بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته .

– ويقرر ابن تيمية أنه لابد من ثلاثة أمور فى الأمر والنهى وهى العلم والرفق والصبر ... العلم قبل الأمر والنهى ، والرفق معه ، والصبر بعده وإن كان كل من الثلاثة مستصحبا فى هذه الأحوال .

– إن الحسبة أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى لون من الجهاد الدائم للإنسان ومن أهدافها حفظ الإسلام من البدع وضمان تنفيذ المأمورات والمنهيات البريئة من الابتداع وتحويل شرائع الإسلام من صورة القول إلى واقع العمل .

– وفى تعريف ما هو بدعة وما ليس ببدعة يقول الإمام الشافعى رضى اللّه عنه : كل ماله مستند من الشرع فليس ببدعه ، وإن لم يعمل به السلف ، فإن تركهم العمل به قد يكون لعذر قام لهم فى الوقت ، أو الإيثار لما هو أفضل منه ، أو لعله لم يبلغ جميعهم .

– وفى تحديد لسبل الأمر والنهى يدلنا حديث نبوى شريف على هذه السبل وتدرجها حتى يصل بنا إلى تغيير المنكر بالقلب وفقا للاستطاعة ومنعا من الأذى الذى قد يلحق بالمحتسب ومن الفتنة المدمره . يقول الحديث « وهو المتفق عليه » : « **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** » .

والإنكار بالقلب كما قال الإمام أحمد هو : الكراهية الشديدة من القلب للمنكر وفاعليه ، كراهية حقه يعلمها الله من القلب ، لا مجرد دعوى بلا أثر » . وهذا الحديث النبوى يخاطب الناس عامه .. فالأمر والنهى فرض على كل مسلم ، وهو فرض كفاية فيما عدا الإنكار بالقلب – كما ذكر العلماء – ولا يجوز أن يتقاعس الجميع عنه .

– ولنا أن نتصور مجتمعا ينصح بعضه بعضا ويذّكر بعضه بعضا ، إن مثل هذا المجتمع يعيش حالة دائمة من تعديل المسار إلى الأفضل فيزداد رصيده من الفضائل والأخلاق الطيبة التى تسود بين الناس فيحقق أهدافه من سبق حضارى

على غيره من المجتمعات ، ومن هنا يصبح الأمر والنهى اسلوبا دائما وعلاجا لأدواء الأمة وهو بذلك من أسرار سعادة المجتمعات .

– ومن هذا المنطلق تكون أهمية إيجابية الإنسان ولو بإنكار القلب لما يراه أمامه من منكر فيظل الإنكار ماثلا فى القلب حتى إذا ما امتلك صاحب هذا القلب القدرة بعد ذلك على التغيير – بالرفق – بصورة أخرى أكثر إيجابية – بادر إليه ، كما أنه يؤمن نفسه الوقوع فى ذلك المنكر ، وينقل إنكاره إلى غيره ممن قد يستطيع تغييره بأسلوب آخر يوافق ما تقضى به الشريعة . مع تقديم القدوة بالسلوك الذاتى فى الحياة .

– وعند الحديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد تُذْكر هذه الآية الكريمة : ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ [سورة المائدة : ١٠٥] .

ويقول ابن كثير فى تفسيرها : يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، ومخبرا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريبا منه أو بعيدا ...... ويقول :

وليس فى الآية مُسْتَدَل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذا كان فعل ذلك ممكنا .

وقال ابن عمر – فى هذه الآية – : إنها ليست لى ولا لأصحابى إن رسول الله ﷺ قال : « **ألا فليبلغ الشاهد الغائب** » فكنا نحن الشهود وأنتم الغُيَّب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم . [من تفسير الطبرى] .

– والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يقوم به المتطوع – على الشروط التى تبينها صفحات الكتاب – والمحتسب – الذى يفوضه الحاكم – وقد عرف المجتمع الإسلامى وظيفة المحتسب فى حقب عديدة من تاريخه وتفاوتت فاعليته وإخلاصه من حقبة إلى أخرى وفقا لظروف الحكم والحاكم .

- وفى عدد من المؤلفات - خاصة التى صدرت فى صدر الإسلام - يتم استخدام لفظ « المحتسب » ليعنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سواء كان متطوعا أو موظفا لهذه المهمة أى تمتد لتشمل كل من يقوم بهذه المهمة ، ويجيء مدلول الكلمة فى هذا الكتاب . « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند ابن كثير وبشروح الامام الغزالى » بهذا المعنى الواسع الشامل .



- وقد بدأت هذا الكتاب بذكر ما ورد من آيات مباشرة حول فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بتفسير الحافظ ابن كثير من كتابه « تفسير القرآن العظيم - طبعة كتاب الشعب » وعند نقل شروح الآيات تم اختصار هذه الشروح لمنع تكرار المعانى كما تم كذلك اختصار العنعنات الكائنة فى مقدمة الأحاديث النبوية . وقد لجأت فى تفسير الكلمات الصعبة إلى لسان العرب وتفسير الطبرى .

- وفيما يتعلق بترتيب وتبويب الموضوعات انتهجت الكيفية التى بنى عليها كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لحجة الإسلام الغزالى [وهو بعض من مصنف إحياء علوم الدين] ليسهل استكمال الموضوعات بأبوابها وفصولها بشروح الغزالى التى كان بعضها أكثر تفصيلا مما جاء فى تفسير ابن كثير ، وكان من الطبيعى عدم تكرار ما ورد من شروح للغزالى تتفق مع شروح ابن كثير التى سبق إثباتها ، ومن ناحية أخرى اختصار بعض ما تحتويه هذه الشروح فيما لا يخل بالمعنى والتفصيل ، وكان الاختصار محدودا جدا فى البابين الأخيرين ، كما قمت باختيار عناوين فرعية ملائمة لموضوعات وشروح الكتاب .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب نورا وتذكره ..
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

نشأت المصرى

المؤلفان

ابن كثير :

هو اسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفداء بن الخطيب القرشي البُصْروي الشافعي : وهو مؤرخ عربي ولد عام ٧٠١ هـ (١٣٠١ م) في دمشق ودرس فيها الحديث ولقي من الإضطهاد مثل ما لقي استاذه الحنبلي المشهور تقي الدين ابن تيمية . وابن كثير سلفي في كتاباته وسنيّ في نزعته وقال عنه الحافظ شمس الدين الذهبي – وكان من اساتذة ابن كثير « الإمام المفتي المحدث البارع ، فقيه المتن ، ومفسر نقال ، وله تصانيف مفيدة » . وقد انتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير .

ومن مؤلفاته : البداية والنهاية – شرح صحيح البخاري (ولم يكتمل) – أحكام التبيين – الاجتهاد في طلب الجهاد – طبقات الشافعية – مسند الشيخين – تفسير القرآن العظيم – وأبو بكر وعمر .

وفاته : يقول المؤرخ ابن تغري الاتابكي الظاهري : توفي ابن كثير في يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة سبعمائة وأربع وسبعين [فبراير ١٣٧٣ م] عن أربع وسبعين سنة .

وقد تم دفنه بجوار معلمه ابن تيمية بناء على وصيته رحمه الله .

الغزالي :

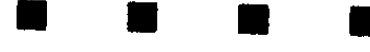
● هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، ولد بمدينة طوس سنة خمسين وأربعمائة هجرية (١٠٥٨ م) وكان والده فقيرا يغزل الصوف ويبيعه بدكانه ولما توفي وصى بابنيه محمد وأحمد لصديق له من الصوفية .

– وعندما قدم الغزالى بلدة نيسابور لازم إمام الحرمين الجوينى حتى وفاته وأخذ عنه المذهب الأشعرى وقد وصفه استاذه بأنه « بحر مغرق » وبعد وفاة أستاذه تنقل فى البلاد معلما ومناظرا للعلماء .

– بعد أن حج الغزالى اعتكف فى زاوية بالجامع الأموى بدمشق ثم أقام زمنا بالاسكندرية وواصل قبل ذلك أخذ نفسه بالزهد والتصوف بعد أن أدرك فساد الحال فى عصره وانشغل بتصنيف كتاب الأحياء وأصبح قطب زمانه ، ووزع كل ماله فى الخير ، وبعد جولات له فى بغداد وغيرها استقر بـ « طوس » بقية حياته .

من مؤلفاته : البسيط – والوسيط – والوجيز – وشفاء العليل – والأسماء الحسنى – والرد على الباطنية – ومنهاج العابدين وإحياء علوم الدين .

وفاته : توفى بـ « طوس » يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخر سنة خمس وخمسمائة هجرية .



بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الباب الأول

أولا وجوب الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكر
من تفسير ابن كثير

١ - مدى وجوبه

يقول تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾[١] .

(ولتكن منكم أمة) : أى أمة منتصبة للقيام بأمر الله فى الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وفى حديث[٢] عن المقصود بالخير أن النبى ﷺ قال : الخير اتباع القرآن و سننى .

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن[٣] ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة حسب استطاعته كما ثبت فى صحيح مسلم « **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » .

وفيما رواه الإمام أحمد أن النبى ﷺ قال : « **والذى نفسى بيده لتأمُرُنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن اللهُ أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لَتدعُنّه فلا يستجيب لكم** » .

---

(١) آل عمران : ١٠٤ .

(٢) رواه أبو جعفر الباقر - ولد سنة ٥٦ هـ وكان من فقهاء المدينة وقيل له الباقر لأنه بقر العلم أى شقه وعرف أصله ، توفى ١١٤ هـ .

(٣) أى أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به بعض الأمة سقط الفرض عن الآخرين ، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف .

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتى تفسيرها فى أماكنها .

ثم قال تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾(٤) .

ينهى الله هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية فى تفرقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع قيام الحجة عليهم .

٢ - دور خير أمة

ويقول تعالى : ﴿ **كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾(٥) .

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنها خير الأمم .

وقال ابن عباس [وآخرون] ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ يعنى : خير الناس للناس . أى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس .

قام رجل إلى النبى ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله أى الناس خير ؟ فقال : خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم(٦) .

وقيل أن « خير أمة » هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ، والصحيح أن هذه الآية عامة فى جميع الأمة ، كل قرن بحسبه ، وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

---

(٤) آل عمران ١٠٥ .
(٥) آل عمران ١١٠ .
(٦) مسند أحمد .

وقال النبى ﷺ فى حديث مشهور : « **أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها ، وأنتم أكرم على الله عز وجل** »[7] .

٣ - موقف أهل الكتاب

يقول تعالى : ﴿ **ليسو سواءً من أهل الكتاب أمةٌ قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهونِ عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين** ﴾[8] .

(قيل فى معنى الآية الأولى) لا يستوى أهل الكتاب وأمة محمد ﷺ .

والمشهور (كذلك) عن كثير من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلَاَم وأسدَ بن عُبَيْد وثعلبة بن سَعْية وأسَيد بن سَعْية وغيرهم . أى : لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب [وهؤلاء الذين أسلموا] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ليسو سواء** ﴾ أى : ليسوا كلهم على حد سواء ، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة** ﴾ أى : قائمة بأمر الله ، مطيعة لشرعه ، ومتبعة نبى الله (قائمة) أى مستقيمة يقومون الليل ، ويكثرون التهجد ، ويتلون القرآن فى صلواتهم .

٤ - من صفات المؤمنين

[إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو من صفات المؤمنين]

يقول تعالى : ﴿ **والمؤمنونَ والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويُؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾[9] .

---

(٧) مسند أحمد .

(٨) آل عمران ١١٣ ، ١١٤ .

(٩) التوبة ٧١ .

لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة – قبل ذلك – عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة ، فقال : ﴿ **بعضهم أولياء بعض** ﴾ أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء فى صحيح البخارى : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » **وشبك بين أصابعه** ، وفى الصحيح أيضا : « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر** » ، وقوله : ﴿ **يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف** ..... ﴾ .

٥ – إغفاله من دواعى اللعنة

قال تعالى : ﴿ **لُعِن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون** ﴾[١٠] .

يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بنى اسرائيل من دهر طويل فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام ، وعلى لسان عيسى ابن مريم ، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه . فقد كان حالهم فى زمانهم لا ينهى أحد منهم أحدا عن ارتكاب المآثم والمحارم ، ثم ذمهم – الله – على ذلك [للتحذير من ارتكاب مثل ما ارتكبوا] .

٦ – مخالطة العصاه

قال النبى ﷺ « **لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى ، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ﴿ ذلك بما عصوا**

---

(١٠) المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

وكانوا يعتدون ﴾ ، وكان رسول الله ﷺ متكئا فجلس فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا ... » [أى تميلوهم إليه][11] .

وقال النبى ﷺ : « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك : ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض »[12] .

٧ — من صور الامتناع عنه والجزاء

قال النبى ﷺ : « إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه . فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة »[13] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرهها — كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها »[14] .

وقد قام رسول الله ﷺ خطيبا فكان فيما قال : « ألا لا يمنعن رجلاً هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه »[15] .

وقال رسول الله ﷺ : « لا يحقر أحدكم نفسه . قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا للّه فيه مقال : ثم لا يقول فيه . فيقول الله له يوم القيامة : ما منعك أن تقول فىّ كذا وكذا ؟ فيقول خشية الناس . فيقول : فإياى كنتَ أحق أن تخشى »[16] .

(١١) مسند أحمد .
(١٢) سنن أبى داود . كتاب الملاحم .
(١٣) مسند أحمد .
(١٤) سنن أبى داود .
(١٥) رواه ابن ماجة .
(١٦) تفرد به ابن ماجة .

وقال النبى ﷺ : « **لا ينبغى لمسلم أن يذل نفسه . قيل : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق** »[١٧] .

وقيل : يا رسول الله ، متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قال : « **إذا ظهر فيكم ما ظهر فى الأمم قبلكم : قلنا يا رسول الله ، وما ظهر فى الأمم قبلنا ؟ قال : المُلْك فى صغاركم ، والفاحشة فى كباركم ، والعلم فى رُزالكم** » [أى إذا كان العلم فى الفساق][١٨] .

٨ – أفضل الجهاد

قال النبى ﷺ : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** »[١٩] .

٩ – من مقدمات الدعاء

قال عليه الصلاة والسلام : « **مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم** »[٢٠] .

١٠ – التعاون

قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾[٢١] .

---

(١٧) مسند أحمد .
(١٨) سنن ابن ماجة .
(١٩) سنن ابن ماجة : كتاب الفتن .
(٢١) المائدة : ٢ .

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات ، وهو البر . وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم .

والاثم : ترك ما أمر الله بفعله ، والعدوان : مجاوزة ما حد الله فى دينكم ، ومجاوزة ما فرض عليكم فى أنفسكم وفى غيركم .

١١ – مخالطة الناس وثوابُه

قال النبى ﷺ : « **المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** »(٢٣) .

وقال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا(٢٤) .

١٢ – درس من المـاضى

قال تعالى : ﴿ **وترى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السُحت لبئس . ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** ﴾(٢٥) أى ترى كثيرا يبادرون إلى تعاطى المآثم والمحارم والاعتداء على الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، لبئس العمل كان عملهم ، وبئس الاعتداء اعتداؤهم فهلا كان ينهاهم الربانيون [أى العلماء العمال أرباب الولايات عليهم] والأحبار [أى العلماء] عن تعاطى ذلك . فبئس ما كانوا يصنعون فى تركهم ذلك .

---

(٢٢) مسند أحمد .

(٢٣) مسند أحمد .

(٢٤) سنن أبى داود ، كتاب السنة .

(٢٥) المائدة : ٦٢ ، ٦٣ .

١٣ - النهى عن الفساد والترف

قال تعالى : ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهوْن عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتّبع الذين ظلموا ما أُترفوا فيه وكانوا مجرمين ، وما كان ربك ليُهْلك القُرى بظلمٍ وأهلها مصلحون** ﴾[٢٦] .

ما أترفوا فيه : أى ما أنعموا فيه من الشهوات ، والمترف المتنعم[٢٧]

المعنى : ياليته وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد فى الأرض ، لكن قليلا منهم أنجاهم اللّه عند تغير الحال من الصلاح إلى الفساد وعند النقمة ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وفى الحديث : « **إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك اللّه عز وجل أن يعمهم بعقابه** »[٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** ﴾ : أى استمروا على ما هم فيه من المعاصى والمنكرات ، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك ، حتى فاجأهم العذاب ﴿ **وكانوا مجرمين** ﴾ ، ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهى ظالمة ، ولم يأتِ قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين كما قال تعالى : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾[٢٩] .

١٤ - الشهادة والعدل

قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقِسط شهداء للّه ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكون غنيا أو فقيرا فاللّه أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدِلوا وإن تَلْوُوا أو تُعْرِضوا فإن اللّه كان بما تعملون خبيرا** ﴾[٣٠] .

---

(٢٦) هود : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٧) المصحف المفسر لفريد وجدى .

(٢٨) مسند أحمد : ١/٥ وقد رواه أصحاب السنن الأربعة وغيرهم .

(٢٩) هود : ١٠١ .

(٣٠) النساء : ١٣٥ .

يأمر اللّه تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوّامين بالقسط أى بالعدل . فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم فى اللّه لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه . وليكن أداء الشهادة ابتغاء وجه اللّه ، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا ، خالية من التحريف والتبديل والكتمان ، ولهذا قال : ﴿ **ولو على أنفسكم** ﴾ ، أى : اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك ، وإذا سُئلت عن الأمر فقل الحق فيه ، وإن كان مَضرة عليك ، فإن اللّه سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه ، وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك ، فلا تراعهم فيها ، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم ، فإن الحق حاكم على كل أحد ، وهو مقدم على كل أحد .

وقوله : ﴿ **إن يكن غنيا أو فقيرا فاللّه أولى بهما** ﴾ ، أى : لا ترعاه لغناه ولا تشفق عليه لفقره ، اللّه يتولاهما ، بل هو أولى بهما منك ، وأعلم بما فيه صلاحهما ولا يحملنكم الهوى والعصبية وبغض الناس إليكم على ترك العدل فى أموركم وشئونكم ، بل الزموا العدل على أى حال كان .

ومن هذا القبيل قول عبد اللّه بن رواحة ، لما بعثه النبى ﷺ يقدر ويخصى على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم ، فقال : « **واللّه لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلىَّ ولأنتم أبغض إلى من أجدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملنى حُبى إياه وبغضى لكم على أن لا أعدل فيكم . فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض** » .

وقوله : ﴿ **وإن تلووا** ﴾ أى تحرفوا الشهادة وتغيروها ، واللىّ هو التحريف وتعمد الكذب . والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى : ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ . وقال النبى ﷺ : « **خير الشهداء الذى يأتى بشهادته قبل أن يسألها** »[٣١] . ولهذا توعدهم اللّه بقوله : ﴿ **فإن اللّه كان بما تعملون خبيرا** ﴾ أى سيجازيكم بذلك .

---

(٣١) رواه أحمد وابن ماجة ومسلم .

١٥ - الصدقة والاصلاح بين الناس

قال تعالى : ﴿ **لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما** ﴾[٣٢] .

نجواهم أى كلام الناس .

عن أم حبيبة قالت : قال رسول الله ﷺ : « **كلام ابن آدم كله عليه لا له ما خلا أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر** »[٣٣] . وتقول ام كلثوم بنت عقبة سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « **ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيَنْمِى خيرا - أو يقول خيرا** - » وقالت : لم أسمعه يرخص فى شىء مما يقوله الناس إلا فى ثلاث فى الحرب ، والإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها[٣٤] .

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام ، والصلاة ، والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : أصلاح ذات البين** »[٣٥] .

١٦ - الإصلاح وقتال الباغى

يقول تعالى آمر بالاصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءَت فأصلحوا بينهما**

---

(٣٢) النساء : ١١٤ .

(٣٣) عن الدر المنثور : ٢/٢٢٠ رواه الترمذى وابن ماجة .

(٣٤) رواه أحمد والجماعة سوى ابن ماجة .

(٣٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

بالعدل وأَقْسطوا إن اللّه يحب المقسطين ، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا اللّه لعلكم تُرحمون ﴾[٣٦] .

- حتى تفيء أى حتى ترجع إلى أمر اللّه .
- واقسطوا : أى واعدلوا .

سمىَّ اللّه تعالى الطائفتين - فى الآيات - مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخارى وغيره على أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وقد خطب رسول اللّه ﷺ يوما ومعه على المنبر الحسن بن على ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : « **إن ابنى هذا سيد ولعل اللّه أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين** »[٣٧] فكان كما قال صلوات اللّه وسلامه عليه ، حيث أصلح اللّه به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة .

وعن أنس أن رسول اللّه ﷺ قال : « **انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قلت : يا رسول اللّه هذا نصْرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال : تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه** »[٣٨] .

● ومما جاء فى أسباب نزول هذه الآيات . قال أنس :

- قيل للنبى ﷺ : لو أتيت عبد اللّه بن أُبى ؟ فانطلق إليه نبى اللّه ﷺ - وركب حمارا ، وانطلق المسلمون يمشون ، وهى أرض وهى سَبَخَةٌ ، فلما انطلق إليه النبى ﷺ قال : « إليك عنى ، فواللّه لقد آذانى ريح حمارك » . فقال رجل من الأنصار :

واللّه لحمار رسول اللّه أطيب ريحا منك . قال : فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال ، فبلغنا أنه أنزلت فيهم : **﴿ وإن طائفتان من المؤمنين أقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾**[٣٩] .

(٣٦) الحجرات : ٩ ، ١٠ .
(٣٧) رواه البخارى .
(٣٨) رواه البخارى .
(٣٩) رواه أحمد والبخارى .

- وذكر سعيد بن جبير : أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال ، فأنزل الله هذه الآية ، فأمر بالصلح بينهما .

● وقال النبى ﷺ : « **إن المقسطين فى الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدى الرحمن ، بما أقسطوا فى الدنيا** »(٤٠) .

● إنما المؤمنون إخوه أى الجميع إخوة فى الدين كما قال النبى ﷺ : « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** »(٤١) .

وقال : « **إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ، ولك بمثله** »(٤٢) .

١٧ - حتى لا يقبل منك

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم ، ومخبرًا لهم أنه من أصلح أمره لا يضره فساد من فسد من الناس ، سواء كان قريبا منه أو بعيدًا .

يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا أهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾(٤٤) ومما قيل فى تفسير الآية أن الله يقول : إذا ما العبد أطاعنى فيما أمرته به من الحلال وما نهيته به عن الحرام ، فلا يضره من ضل بعده ، إذا عمل بما أمرته به وليس فى الآية ما يدل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذا كان فعل ذلك ممكنا .

وقد قال أبو بكر رضى الله عنه : أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ ... إلى

---

(٤٠) رواه النسائى .
(٤١) البخارى ومسلم وآخرون .
(٤٢) مسلم وآخرون .
(٤٣) الصحيحان وغيرهما .
(٤٤) المائدة : ١٠٥ .

أخر الآية ، وانكم تضعونها على غير موضعها ، وإنى سمعت رسول الله ﷺ قال : « **إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقابه** » **وقال أبو بكر : يأيها الناس إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانب الإيمان** »(٤٥) .

ويذكر الترمذى أن رسول الله ﷺ قال عندما سئل عن تلك الآية : « **بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوىً متبعا ، ودنيا مُؤْثَرَةَ** [أى مفضلة على غيرها] ، **واعجابَ كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم** » . وقيل يا رسول الله ، أجر خمسين رجلا منهم أو منا ؟ قال : « **بل أجر خمسين منكم** » .

قال الترمذى : هذا حديد حسن غريب صحيح . ورواه غيره .

– وقال ابن مسعود فى هذه الآية : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، ولكنه قد أوشك أن يأتى زمانها ، تأمرون فيصنع بكم كذا وكذا ، أو قال : فلا يقبل منكم . فحينئذٍ ﴿ **عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل** ﴾(٤٦) .

– وقيل أيضا : كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا ، فكان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله يقول : ﴿ **عليكم أنفسكم** ﴾ .... الآية فسمعها ابن مسعود فقال : مَهْ ، لم يجىء تأويل هذه بعد . إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آى قد وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ ، ومنه آى قد وقع تأويلهن بعد النبى ﷺ بيسير ، [ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ، ومنه آى يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من

---

(٤٥) رواه أحمد .

(٤٦) ورد فى تفسير الطبرى .

الساعة][٤٧] ، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر عن الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، ولم تَلْبَسوا شيعا . ولم يذق بعضكم بأس بعض [فأمروا وانهوا ، فإذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ[٤٨] ونفسه] ، عند ذلك جاء تأويل هذه الآية .

- وقيل لابن عمر : لو جلست فى هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله قال : عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ؟ فقال ابن عمر : أنها ليست لى ولا لأصحابى ، إن رسول الله ﷺ قال : « **ألا فليبلغ الشاهد الغائب** » فكنا نحن الشهودَ ، وانتم الغُيّب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم .

- وقال الحسن فى هذه الآية : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقى ، إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله .

- وعن كعب فى هذه الآية : قال : إذا هدمت كنسية دمشق ، فجعلت مسجدا ، وظهر لبس العَصْب فحينئذٍ تأويل هذه الآية .

١٨ - الفرار إلى الله

يقول تعالى : ﴿ **ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين** ﴾[٤٨] أى الجأوا إليه ، واعتمدوا فى أموركم عليه .



---

(٤٧) من تفسير الطبرى .

(٤٨) الذاريات : ٥٠ .

ثانيا : مختصر « وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » للغـــزالى

☐ **إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين . وهو المهم الذى ابتعث الله له النبيين أجمعين .**

وقد تناول أبو حامد الغزالى الآيات الكريمة التى فصلناها فى الباب الأول بشروح تكاد تتفق مع ما جاء فى شروح ابن كثير .. مع الاستشهاد بأحاديث نبوية أخرى لتأكيد المعنى .. قال الغزالى :

وجوبه وفضيلته والمذمة فى إهماله

☐ قال عليه أفضل الصلاة والسـلام :

« إن الله ليسأل العبد ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره ؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس »(٤٩) .

☐ وقال رسول الله ﷺ :

« **إياكم والجلوس على الطرقات** » قالوا : ما لنا بدّ إنما هى مجالسنا نتحدث فيها قال : « **فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها** » قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : « **غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** »(٥٠) .

● وقال رسول الله ﷺ :

« لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه »(٥١) .

---

(٤٩) أخرجه ابن ماجة .

(٥٠) متفق عليه من حديث أبى سعيد .

(٥١) أخرجه الطبرانى بسند ضعيف والبيهقى بسند حسن .

□ وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا ينبغى لامرىء شهد مقاما فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقا هو له »(٥٢) .

وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظَّلَمَة والفَسَقة ولا حضور المواضع التى يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال « **اللعنة تنزل على من حضر** » . ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذار بأنه عاجز ، ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير ،وهذا يقتضى لزوم الهجر للخلق . ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس ، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم ، ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه ؛ فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء فى نعميهم ثم قرأ ﴿ **ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين** ﴾ .

□ وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :

« ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى فيمكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رءوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام »(٥٣) .

□ وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

كان أهل قرية يعملون بالمعاصى وكان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون ، فقام أحدهم فقال : انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبح

(٥٢) أخرجه البيهقى .
(٥٣) روى مسلم نحوه .

ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون ، [أى لا يكفون] عن أعمالهم فسبهم فسبّوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل ثم قال : اللهم أنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى وقاتلتهم فغلبونى ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال : اللهم أنى قد نهيتهم فلم يطيعونى وسببتهم فسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى . ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال : اللهم إنى قد نهيتهم فلم يطيعونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى . ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إنى لو نهيتهم لعصونى ولو سببتهم لسبونى ولو قاتلتهم لغلبونى ثم ذهب ، قال ابن مسعود رضى اللّه عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله .

□ وقيل يا رسول اللّه أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال « **نعم قيل بم يا رسول اللّه قال : بتهاونهم وسكوتهم على معاصى اللّه تعالى** »[٥٤] .

□ وقال أبو عبيدة بن الجراح :

قلت : يا رسول اللّه أى الشهداء أكرم على اللّه عز وجل ؟ قال : « **رجل قام إلى ولى جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله** »[٥٥] .

□ وأما الآثار : فقد قال أبو الدّرداء رضى اللّه عنه :

لتأمرون بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن اللّه عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم .

□ وسئل حذيفة رضى اللّه عنه عن ميت الأحياء فقال :

الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه .

□ وقال مالك بن دينار : كان حبر[٥٦] من أحبار بنى اسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام اللّه عز وجل فرأى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال : مهلا يا بنى مهلا ، وسقط من سريره فانقطع نخاعه

---

(٥٤) أخرجه البزار والطبرانى بسند ضعيف عن حديث ابن عباس .
(٥٥) أخرجه البزار .
(٥٦) حبر .

واسقطت امرأته وقتل بنوه فى الجيش ، فأوحى اللّه تعالى إلى نبى زمانه : أن أخبر فلانا الحبر أنى لا أخرج من صلبك صديقا أبدا أما كان من غضبك لى إلا أن قلت : مهلا يا بنى مهلا .

□ وقال حذيفة : يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم .

□ وأوحى اللّه تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال : يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار ، قال : إنهم لم يغضبوا لغضبى وواكلوهم وشاربوهم .

□ وقال بلال بن سعد : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة .

□ وقال كعب الأحبار لأبى مسلم الخولانى : كيف منزلتك من قومك ؟ قال : حسنة . قال كعب : إن التوراة لتقول غير ذلك ؟ قال : وما تقول ؟ قال : تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه ، فقال : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

□ وكان عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما يأتى العمال ثم قعد عنهم فقيل له : أو أتيتهم فلعلهم يجدون فى أنفسهم . فقال : أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذى بى غير الذى بى ، وإن سكت رهبت أن آثم .

□ □ وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجرى بمشهد منه .

□ وقال على بن أبى طالب رضى اللّه عنه : أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ؛ فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله .

□ وقال سهل بن عبد اللّه رحمه اللّه : أيما عبد عمل فى شىء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوّش الزمان فهو ممن قد قام اللّه فى زمانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

□ □ معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية فى حقه وقيل للفضيل : ألا تأمر وتنهى ؟ فقال : إن قوما أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا ، وقيل للثورى : ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقال : إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره .

□ □ لقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به .



الباب الثانـي

فى أركـان الأمـر بالمعـروف وشـروطه

الركـن الأول :   المحتســب (الآمر الناهـى)
الركن الثانى   :   المحتسب فيه (موضوع الأمر والنهى)
الركن الثالث :   المحتسب عليه (المأمورون المنهيون)
الركن الرابع :   المقاومة ورد المنكر

الباب الثانى

فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه(*)

الرّكن الأول : المحتسب (الآمر الناهى)

□ يقول تعالى : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ .

يقول تعالى : كيف يليق بكم – يا معشر أهل الكتاب – وأنتم تأمرون الناس بالبر ، وهو جماع الخير – أن تنسوا أنفسكم ، فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصر فى أوامر اللّه ؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ، فتنتبهوا من رقدتكم ، وتتبصروا من عمايتكم .

وقال قتادة : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة اللّه وبتقواه وبالبر ، ويخالفون ، فعيّرهم عز وجل .

وقيل أن أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس ، فعيرهم اللّه بذلك ، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة .

وقيل : أتأمرون الناس بالدخول فى دين محمد ﷺ وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة وتنسون أنفسكم .

(*) فى هذا الكتاب نذكر كل ركن من الأركان من واقع ما جاء فى تفسير ابن كثير للآيات التى تدور حوله مع التثنية مباشرة بما جاء فى احياء علوم الدين للإمام الغزالى حول هذا الركن حيث أفاض الإمام الغزالى فى هذه الأركان .

□ إن اللّه تعالى ذم اليهود على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم فى حق أنفسهم ، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، فإن الأمر بالمعروف **واجب على العالم** ، ولكن الأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ، ولا يتخلف عنهم ، كما قال شعيب عليه السلام : **﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب ﴾** .

□ فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب ، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قول العلماء من السلف والخلف .

□ وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصى لا ينهى غيره عنها ، وهذا ضعيف ، وأضعف منه تمسكهم بهذه الآية ، فإن لا حجة لهم فيها ، والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله ، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه .

□ ولكنه – والحالة هذه – مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية لعلمه بها ومخالفته على بصيره ، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم ؛ ولهذا جاءت الأحاديث فى الوعيد على ذلك ، كما قال الإمام أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير عن جندب بن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال :

قال رسول اللّه ﷺ : « **مثل العالم الذى يعلم الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

□ وفى حديث آخر عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه : قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **مررت ليلة أسرى بى على قوم شفاههم تُقْرَض بمقاريض من نار . قال : قلت : من هؤلاء ؟**

قالوا خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون ؟[٥٧] » .

---

(٥٧) رواه أحمد وغيره .

□ [ومما جاء فى هذا المعنى فى الأحاديث النبوية] :

قيل لأسامه : ألا تكلم عثمان ؟ فقال : إنكم تُروَن أنى لا أكلمه إلا أسمعكم . إنى لا أكلمه فيما بينى وبينه دون أن أفتتح أمرا – لا أحب أن أكون أول من افتتحه ، والله لا أقول لرجل : إنك خير الناس ، وإن كان علىّ أميرا – بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول : قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : « **يُجَاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار ، فتندلق به أقتابه** (أى أمعاؤه) ، **فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهلُ النار ، فيقولون : يا فلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**(٥٨) .



● ويقول تعالى فى محكم آياته .

﴿ **كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾(٥٩) .

فى هذا القول إنكار على من يَعد عدّةً ، أو يقول قولا لا يفى به ، ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا ، سواء ترتب عليه غُرم للموعود أم لا . واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :

« **أية المنافق ثلاث : إذا حّدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان** » .

□ وقال مقاتل بن حيان :

قال المؤمنون : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به ، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه ، فقال : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا** ﴾ ،

---

(٥٨) رواه أحمد والبخارى ومسلم .
(٥٩) الصف : ٣ .

فبين هم ، فابتلوا يوم أحد بذلك ، فولوا عن النبى ﷺ مدبرين (فارين) ، فأنزل اللّه فى ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ، لم تقولون ما لا تفعلون** ﴾ ؟ وقال : أحبكم إلىّ من قاتل فى سبيلى .

□ [وثمة أقوال أخرى عديدة تدور فى الإطار نفسه ، ونحن نرى مما سبق مدى أهمية أن يكون العمل مصدقا للقول خاصة فى الداعية وتحدد آية أخرى الصفات التى ينبغى أن تتوفر فيمن يمكنه اللّه فى الأرض تقول الآية الكريمة] :

﴿ **الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر** ﴾[٦٠] .

قال عثمان بن عفان : فينا نزلت (الآية السابقة) فأخرجنا من ديارنا بغير حق ، إلا أن قلنا : « ربنا اللّه » ثم مُكّنا فى الأرض ، فأقمنا الصلاة ، وآتينا الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، وللّه عاقبة الأمور ، فهى لى ولأصحابى » .

وقيل : هم أصحاب محمد ﷺ .

وقال عمر بن الخطاب فى هذه الآية : ألا إنها ليست على الوالى وحده ، ولكنها على الوالى والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالى من ذَلكم ، وبما للوالى عليكم منه ؟ إن لكم على الوالى من ذَلكم ان يؤاخذكم بحقوق اللّه عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتى هى أقوم ما استطاع ، وأن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة [أى غير المغتصبة] ولا المستكرهه ، ولا المخالف سرها علانيتها .

□ ويقول اللّه تعالى :

- ﴿ **إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** ﴾[٦١] .

---

(٦٠) الحج : ٤١ .

(٦١) النحل : ٩٠ .

– يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل ، وهو القسط والموازنة ، ويندب إلى الإحسان كما قال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾(٦٢) . وقال : ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله** ﴾(٦٣) ، وقال : ﴿ **والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له** ﴾(٦٤) . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا ، من شرعية العدل والندب إلى الفضل .

– وقيل : العدل فى هذا الموضع : استواء السريرة ، والعلانية من كل عامل لله عملا .

– والإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته .

– وإيتاء ذى القربى أى : يأمر بصلة الأرحام .

– وقوله : ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، فالفواحش : المحرمات . والمنكرات : ما ظهر منها من فاعلها ، ولهذا قال فى الموضع الآخر : ﴿ **قل : إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾(٦٥) .

– وأما البغى فهو العدوان على الناس .

– وقد ورد فى نزول هذه الآية الكريمة حديث حسن رواه الإمام أحمد :

« **بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته جالس ، إذ مر به عثمان بن مظعون ، فكشر (أى ظهرت أسنانه عند التبسم) إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : ألا تجلس ؟ فقال : بلى . قال : فجلس رسول الله ﷺ مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شخص رسول الله ﷺ ببصره**(٦٦) إلى السماء ، فنظر ساعة إلى السماء ، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه فى الأرض ، فتحرف (أى

---

(٦٢) النحل : ٦٢ .

(٦٣) الشورى : ٤٠ .

(٦٤) المائدة : ٤٥ .

(٦٥) الأعراف : ٣٣ .

(٦٦) أى فتح عينيه لا يطرف .

مال) رسول الله ﷺ عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره ، فأخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له ، وابن مظعون ينظر . فلما قضى حاجته واستفقه ما يُقال له ، شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتى توارى (اختفى) فى السماء . فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال :

يا محمد ، فيم كنت أجالسك ؟ ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة ! قال : وما رأيتنى فعلت ؟ قال : رأيتك شخص بصرك إلى السماء ، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتنى ، فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك . قال :

وفطنت لذلك ؟ فقال عثمان : نعم . قال رسول الله ﷺ :

أتانى رسول الله (يعنى جبريل عليه السلام) آنفا وأنت جالس . قال : رسولَ الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟ قال :

﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان .... إلى أخره** ﴾ – قال عثمان : فذلك حين استقر الإيمان فى قلبى . وأحببت محمدا ﷺ .

مختصر ما جاء فى « المحتسب » للغزالى

□ الحسبة هى كلمة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولها أركان أربعة أولها المحتسب :

□ وللمحتسب شروط وهو أن يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبى والكافر والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة .

□ □ الشرط الأول : وهو التكليف .. ويراد بهذا الشرط شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعى إلا العقل ، حتى إن الصبى المراهق – وإن لم يكن مكلفا فله إنكار المنكر ، وإذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لأحد منعه من حيث أنه ليس بمكلف ، فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القروبات ، وليس حكمة حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف .

□ □ الشرط الثانى : وهو الإيمان .

□ □ الشرط الثالث : وهو العدالة : فقالوا : ليس للفاسق أن يحتسب [أى أن يقوم بمهام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر] واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ .. والحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول : هل يشترط فى الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها ؟ فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع [فمثلا] لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم ، والأنبياء عليهم السلام قد أختلف فى عصمتهم عن الخطايا ، ولهذا يقول سعيد بن جبير : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شىء ؛ لم يأمر أحد بشىء .

□ □ الشرط الرابع : **كون المحتسب مأذونا من جهة الإمام والوالى** ... **وهذا الاشتراط فاسد** . فإن الآيات والأخبار تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت

عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم ، **فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له** .

والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم . وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا ... .

□ وإن قيل : فى الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغى أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالى وصاحب الأمر ؟ فنقول :

أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الأحتكام ، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم ، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة .

□ إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر له خمس مراتب ١ - التعريف ٢ - الوعظ بالكلام اللطيف ٣ - السب والتعنيف ، ولست أعنى السب بالفحش بل أن يقول : يا جاهل ، يا أحمق ألا تخاف الله ، وما يجرى هذا المجرى . ٤ - **المنع بطريق المباشرة مثل اراقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب منه ،** ورده على صاحبه ٥ - التخويف والتهديد بالضرب ، مثل تخويف المواظب على الغيبة والقذف فإن سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالتخويف وكما ترى **فإن سائر المراتب** (الخمس) **لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام** إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظرا لأنها قد تجر إلى فتنة عامة .

□ وقد روى أن مروان بن الحكم[٦٧] خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل : إنما الخطبة بعد الصلاة ، فقال له مروان : اترك ذلك يا فلان : فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه [أى قام بواجبه] . قال لنا رسول الله ﷺ : « **من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**[٦٨] .

(٦٧) مروان بن الحكم (٢ - ٦٥ هـ) : خليفة أموى استقرت سلطته فى الشام .
(٦٨) رواه مسلم .

☐ وثمة سؤال هو : أفتثبت ولا ية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ والرعية على الوالى مطلقا ، كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟ .

☐ فاعلم أن الذى نراه : أنه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق فى التفصيل . ولنفرض ذلك فى الولد مع الوالد فنقول : قد رتبنا للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما : التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف ، ولس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدى إلى أذى الوالد وسخطه ؟ هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلا ويريق خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده فى بيته من المال الحرام الذى غصبه أو سرقة أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين – إذا كان صاحبه معينا – ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة فى خشب بيته ؛ فإن فعله فى هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ، ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه ، إلا أن فعل الولد حق ، وسخط الأب منشؤة حبه للباطل وللحرام والأظهر فى القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ، ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر إلى مقدار الأذى والسخط . فإن كان المنكر فاحشا وسخطه عليه قريبا كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر ، وإن كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صور حيوان وفى كسرها خسران مال كثير ؟ فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجرى هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال نظر .

☐ وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلّا التعريف والنصح ؛ فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث أن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور فى بيته يكان يفضى إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته ، وذلك محظور ورد النهى عنه كما ورد النهى عن السكوت على المنكر – (يقول الحديث : « من

كان عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه بيده فليخل به فإن قبلها قبلها ، والإكان قد أدى الذى عليه والذى له »[٦٩] – فقد تعارض فيه أيضا محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر فى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه .

□ □ الشرط الخامس : أن يكون المحتسب قادرا ، ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبته إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا فى وجوههم فافعلوا .

واعلم أنه لا يسقط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك معنى العجز .

أما معنى قوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ فلا خلاف فى أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنهُ يقتل ، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس التهلكة ذلك ، بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى ، أى من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه .

وأما إن رأى المحتسب فاسقا متغلبا وعنده سيف وبيده قدح ، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك . إن تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغى أن يكون حراما .

□ وثمة مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلّا بظن ... والعامى ينبغى له أن لا يحتسب إلا فى المجالات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة . [لأنه إذا خاض فيما لا يعلمه فإن ما يفسده أكثر مما يصلحه] .

---

(٦٩) أخرجه الحاكم .

□ وعموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إلا بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يُراد لعينه بل للمأمور ، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه ، فأما إذا لم يكن يأس فينبغى أن لا يسقط الوجوب .



الركن الثانى : المحتسب فيه
(ما يتم عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)

☐ [تعريف : هو كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد][٧٠] .

[ومن هذا التعريف نلمس عدم التجسس كشرط رئيسى من شروط المحتسب فيه] .

☐ يقول تعالى : ﴿ **ولا تجسسوا** ﴾[٧١] .

☐ وقال النبى ﷺ : « **إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا** »[٧٢] .

☐ وأتى ابن مسعود - رضى الله عنه - برجل ، فقيل له : هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله : إنا قد نُهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر شىء نأخذ به[٧٣] .

☐ والتجسس غالبايُطلق فى الشر ومنه الجاسوس ، وأما التحسس فيكون غالبا فى الخير . وقد يُستعمل كل منهما فى الشر .

وقال الأوزاعى : التجسس البحث عن الشىء ، والتحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون ، أو يتسمع على أبوابهم .

---

(٧٠) وفقا لتعريف الإمام الغزالى .
(٧١) الحجرات : ١٢ .
(٧٢) رواه البخارى .
(٧٣) سنن أبى داود .

□ وقال رسول اللّه ﷺ : « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عوراتهم يتبع اللّه عورته ، ومن يتبع اللّه عورته يفضحه فى بيته** »[٧٤] .

□ ويقول تعالى :

﴿ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾[٧٥] .

هذه آداب شرعية ، أدّب اللّه بها عباده المؤمنين ، وذلك فى الاستئذان ، أمر اللّه المؤمنين أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأنسوا ، أى يستأذنوا قبلَ الدخول ويسلموا بعده ، وينبغى أن يستأذن ثلاثا ؛ فإن أذن له وإلا انصرف ، كما ثبت فى الصحيح أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثا ، فلم يؤذن له ، انصرف : ثم قال عمر : ألم أسمع صوت عبد اللّه بن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له . فطلبوه فوجدوه قد ذهب ، فلما جاء بعد ذلك قال ما رَجَعَك ؟ قال : إنى استأذنت ثلاثا فلم يُؤذن لى ، وإنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول :

« **إذا استأذن أحدكم ثلاثا ، فلم يؤذن له ، فلينصرف** »[٧٦] .

□ وفى الصحيحين عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : لو أن امرؤً اطلع عليك بغير إذن فخذفته [أى رميته] بحصاة ، ففقأت عينه ، ما كان عليك من جناح .

---

(٧٤) سنن أبى داود .

(٧٥) النور : ٢٧ .

(٧٦) رواه البخارى ومسلم .

مختصر ما جاء فى « المحتسب فيه » للغزالى

□ ما فيه الحسبة أو المحتسب فيه [أو موضوع الحسبة] وشروطه أربعة :

□ الشرط الأول : أن يكون منكرا : ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية .

□ الشرط الثانى : أن يكون موجودا فى الحال .

□ الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس ، فكل من ستر معصية فى داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى اللّه تعالى عنه . فإن قلت : فما حد الظهور والاستتار ؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لنعرف المعصية إلا أن يظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار .

□ **الشرط الرابع** : أن يكون منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة ، فمثلا ليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب والضبع وما لم يسمَّ عليه [أى متروك التسمية] .

ومن أمثلة ما يؤدى إليه ما هو فى محل الاجتهاد أنك قد تعترض على رجل قَدَرى فى قوله : الشر ليس من اللّه ، فيعترض عليك القدرى أيضا فى قولك : الشر من اللّه ، وكذلك فى قولك : إن اللّه يرى . وهكذا فى سائر المسائل . إذ المبتدع مُحق عند نفسه ، والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا . فكيف يتم الاحتساب ؟ فاعلم أننا لأجل هذا التعارض نقول :

ننظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة ؛ فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنَّة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان ، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس

للآحاد الحسبة فى المذاهب إلا بنصب السلطان . فإذا رأى السلطان الرأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل ، وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه .

وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ، ولكن ينبغى أن يُراعى فيها هذا التفصيل السابق كيلا يتقابل الأمر ولا ينجر إلى تحريك الفتنة .



الركن الثالث : المحتسب عليه
« من المأمورين المنهيين »

[المأمورون المنهيون هم كثرة من الناس من الحكام والمحكومين يحتاجون إلى الأمر والنهى ليرشدوا ويعودوا إلى طريق الحق فى شأن أو أكثر من شئون حياتهم وعقيدتهم ، وتتناول هؤلاء آيات كثيرة فى القرآن الكريم يستطيع القارىء التعرف عليهم بيسر][٧٨] .

(٧٨) بقلم المعد .

مختصر ما جاء فى « المحتسب عليه » للغزالى

□ وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ، وأقل ما يكفى فى ذلك أن يكون إنسانا ، ولا يشترط كونه مكلفا ، إذ بينا أن الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ، ولا يشترط كونه مميزا إذا بينا أن المجنون لو كان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة منعه منه ، وإن كان هناك من الأفعال ما لا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره .

□ والقول الوجيز أنه على الإنسان أن يتعب نفسه فى دفع المعاصى كما عليه أن يتعب نفسه فى ترك المعاصى ، والمعاصى كلها فى تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهى غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر . فالمقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية .

الركن الرابع : نفس الاحتساب
« طريقة الاحتساب ، التعاون ورد المنكر »
« مختصرا عن الغزالى »

للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر درجات وآداب .

أولا درجات الأمر والنهى :

١ - **التعرف** : وهو يعنى طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهى عنه - وهو التجسس - فلا ينبغى أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر » ..... إلى أخره .

٢ - **التعريف** : فإنّ المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله وإذا عرف أنه منكر تركه ، وقلما يرضى الإنسان بأن يُنسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع ... فالطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح فى صورة النفس وسواد فى وجهه ، وصاحبه ملوم عليه .. لكن الجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم ، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله ، ويعظم ابتهاجه فى نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره .

٣ - **النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى** : وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا ، أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكرا ، كالذى يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجرى مجراه ...

قيل لداود الطائى رحمه الله : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ فقال أخاف عليه السوط ، قيل : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه السيف ، قيل : إنه يقوى عليه ، قال : أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب .

٤ - **السب والتعنيف بالقول الغليظ والخشن** : وذلك يلجأ إليه عند العجز عن المنع باللطف ، وظهور مبادىء الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح . وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام :

﴿ **أف لكم ولما تعبدون من دون اللّه أفلا تعقلون** ﴾ : ولسنا نعنى بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ، ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش ، كقوله : يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف اللّه ، وكقوله : يا سوادى يا غبى وما يجرى هذا المجرى ، فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل . ولولا حمقه لما عصى اللّه تعالى بل كل من ليس بكيِّس فهو أحمق : والكيِّس من شهد له رسول اللّه ﷺ بالكياسة حيث قال : « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على اللّه** » .

ولهذه الرتبة أدبان ؛ أحدهما : أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثانى : أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه ؛ بل يقتصر على قدر الحاجة .

٥ - **التغيير باليد** ؛ وذلك كإراقة الخمر وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه وإخراجه من الدار المغصوبة ، وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جُنُب .... الخ . ويتصور ذلك فى بعض المعاصى دون بعض .

فأما معاصى اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها ، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصى وجوارحه الباطنة .

ويراعى أن يُقتصر فى طريق التغيير على القدر المحتاج إليه ، وهو أن لا يأخذ بلحيته فى الإخراج ، ولا برجله إذا قدر على جرّه بيده ؛ فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه ، ولا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه [أى خيطه] وفى إراقة الخمور يتوقى كسر الأوانى إن وجد إليه سبيلا . فإن قلت : فهلا جاز الكسر لأجل الزجر ؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل ، والعقوبة تكون على الماضى وليس لآحاد الرعية إلا الدفع وهو اعدام المنكر ، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة جريمة سابقة أو زجر عن لاحق ، وذلك إلى الولاه لا إلى الرعية .

وقد فُعل ذلك فى زمن رسول الله ﷺ تأكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ، ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة .

ولقد جوَّزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه .

٦ – **التهديد والتخويف** : كقوله دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن رقبتك وهذا ينبغى أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه . والأدب فى هذه الحالة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهبن دارك . وما يجرى مجراه .

٧ – **المنع بمباشرة القهر** : فإذا انتهى المنكر ينبغى أن يكف القهر وعلى المحتسب أن يراعى التدريج بما لا يثير فتنة .

٨ – **أن لا يقدر عليه بنفسه** ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح . وربما يستعين الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدى ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا . ولهذا قال قائلون : لا يستقل آحاد الرعية بذلك وظهر الاختلاف فى مدى الاحتياج إلى إذن الإمام .

ونحن نقول إن قمع أهل الفساد جائز والمحتسب المحق إن قُتِل مظلوما فهو شهيد ، وعلى الجملة يقال : **كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع** ذلك .

□ يقول الله تعالى :

﴿ يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾(٧٩) .

وهى وصايا نافعة حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها .. فقوله **﴿ يا بنى أقم الصلاة ﴾** أى : أقم الصلاة بحدودها وفروضها وأوقاتها . و **﴿ أمر بالمعروف وانه عن المنكر ﴾** أى : بحسب جهدك وطاقتك ، **﴿ واصبر على ما أصابك ﴾** – لأن الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر ، لابد أن يناله من النـاس أذى فأمره بالصبر .

وقوله **﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾** أى : إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور .

□ ويقول تعالى : **﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾**(٨٠) .

[يقول تعالى هذه الآية مخاطبا لموسى عليه السلام ولأخيه هارون بعد أن أمرهما بالذهاب إلى فرعون الطاغية] .

وتلك الآية فيها عبرة عظيمة ، وهى أن فرعون فى غاية العتو والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ، كما قال يزيد الرقاشى عن قوله : **﴿ فقولا له قولا لينا ﴾** : يا من يتحبب إلى من يعاديه ، فكيف بمن يتولاه ويناديه ؟

وعن الحسن البصرى قال (شارحا المعنى) أعْذرا إليه ، فقولا له : إن لك ربا ، ولك معادا ، وإن بين يديك جنة ونارا .

---

(٧٩) لقمان : ١٧ .
(٨٠) طه : ٤٤ .

□ ومجمل القول أن تكون الدعوة بكلام رقيق سهل ، ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ وانجع ، كما قال تعالى : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾[٨١] .

﴿ **لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ ، أى : لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ، ﴿ **أو يخشى** ﴾ أى : يُوجد طاعة من خشية ربه .

وقال الحسن البصرى : المعنى : لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون : أهْلكْه ، قبل أن أعذر إليه .

وهنا نذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل[٨٢] .

وأنت الذى مِنْ فَضْلِ مَنٍّ ورحمة ... بعثتَ إلى موسى رسولا مناديا
فقلت له : يا اذهبْ وهارون فادْعَوا ... إلى اللّه فرعونَ الذى كان باغيا
فقولا له : هل أنت سوَّيت هذه[٨٣] ... بلا وَتَدٍ حتى استقلّت كما هيا ؟
وقولا له : آأنت رفَّعت هذه ... بلا عَمَد ، أرْفقْ إذا بك بانيا !
وقولا له : آأنت سوّيت وسْطَها ... مُنيرا إذا ما جنَّهُ الليلُ هاديا ؟
وقولا له : من يُخرجُ الشمس بُكرةً ... فيُصبحُ منه البَقْل يهتزُّ رابيا ؟

---

(٨١) النحل : ١٢٥ .
(٨٢) يقال أنه لأمية بن أبى الصلْت .
(٨٣) المقصود الأرض .

آداب المحتسب
(عند الغزالى)

□ إن جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب وهى : العلم . والورع . وحسن الخلق .

أما العلم : فليعلم مواقع الحسبة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه .

والورع : ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه . بل ربما يعلم أنه مسرف فى الحسبة وزائد على الحدّ المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض ، وليكن كلامه ووعظه مقبولا فإن الفاسق يُهزأ به إذا احتسب .

وأما حسن الخلق : فليتمكن به من اللطف والرفق ، فالعلم والورع لا يكفيان ، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع قبوله بحسن الخلق . وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب ، وبه يصبر المحتسب على ما أصابه فى دين الله ، وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه ، بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم .

□ وبهذه الصفات الثلاث تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات . وإن فقدت لم يندفع المنكر . بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودلّ على هذه الآداب قوله ﷺ : « **لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيها يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وكذا الحلم** » .

قال الحسن البصرى : إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلاّ هلكت وقد قيل :

لا تلم المرء على فعله ... وأنت منسوب إلى مثله
من ذمّ شيئا وأتى مثله ... فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعنى بذلك أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس .

□ عن انس رضى الله عنه قال : قالنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله . فقال ﷺ :

« بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله »(٨٤) .

وأوصى بعض السلف بنيه فقال :

إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مسّ الأذى . ولذلك قرن الله تعالى الصبر : بالأمر بالمعروف ، فقال حاكيا عن لقمان : ﴿ **يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك** ﴾ .

ومن الآداب تقليل العلائق (العلاقات) حتى يزول الخوف والطمع والمداهنة وقد رُوى أن بعض المشايخ كان له السنّور(٨٥) وكان يأخذ من قصّاب فى جواره طعاما من البقايا لسنوره فرأى على القصاب منكرا ، فدخل الدار أولا وأخرج السنور ، ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب : لا أعطينك بعد هذا شيئا لسنورك ، فقال : ما أحتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك . وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ، ومن طمع فى أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة .

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ وعنف له فى القول فقال : يا رجل أرفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر منى

---

(٨٤) أخرجه الطبرانى .
(٨٥) السنّور : حيوان أليف من رتبة اللواحم يتغذى على الفئران .

وأمره بالرفق فقال تعالى : ﴿ **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ فليكن اقتداء المحتسب فى الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبى ﷺ فقال : يا نبى الله تأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى ﷺ :

« **قرّبوه أدن** [أى اقترب] .. » .

فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى ﷺ :

« **أتحبه لأمك ؟** »

فقال : لا جعلنى الله فداك ، قال :

« **كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك ؟** » .

قال : لا جعلنى الله فداك ، قال :

« **كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك ؟** » .

وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة والشاب يقول فى كل واحد : لا ، جعلنى الله فداك ، وهو ﷺ يقول : « **كذلك الناس لا يحبونه** » . فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال :

« **اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه** » فلم يكن شىء أبغض إليه منه أى من الزنا[٨٦] .

□ وحدث أن « صلة بن أشيم » مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال : دعونى أنا أكفيكم . فقال : يا ابن أخى إنّ لى إليك حاجة قال : وما حاجتك ياعم ؟ قال : أحب أن ترفع من إزارك . فقال نعم وكرامة ، فرفع إزاره . فقال ابن أشيم لأصحابه : لو أخذتموه بشدة لقال : لا ولا كرامة وشتمكم .



(٨٦) رواه أحمد .

الباب الثالث (*)

فى المنكرات المألوفة فى العادات

أولا – منكرات المساجد
ثانيا – منكرات الأسواق
ثالثا – منكرات الشوارع
رابعا – منكرات الحمامات
خامسا – منكرات الضيافة
سادسا – المنكرات العامة

(*) فى هذا الباب والذى يليه نعالج الموضوعات من خلال ما ورد فى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى مع الوقوف عند الآيات الكريمة بتفسير ابن كثير عندما ترد فى مكانها من الإحياء .. ويشير الإمام الغزالى إلى أن المنكرات التى يذكرها هى بعض تلك المنكرات ليستدل بها على أمثالها « إذ لا مطمع فى حصرها واستقصائها » .

أولا : منكرات المساجد

□ أعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة . فإذا قلنا : هذا منكر مكروه . فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام ، إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم فى الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه ، وإذا قلنا منكر محظور ، أو قلنا منكر مطلقا ، فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا .

١ - العجلة فى الصلاة :

□ مما يشاهد كثيرا فى المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة فى الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث ، فيجب النهى عنه إلا عند الحنفى الذى يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة ، إذ لا ينفع النهى معه . ومن رأى مسيئا فى صلاته فسكت عليه فهو شريكه - هكذا ورد به الأثر - وفى الخبر ما يدل عليه ، إذ ورد فى الغيبة أن المستمع شريك القائل ، وكذلك كل ما يقدح فى صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها ، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه .

٢ - أخطاء القراءة :

□ قراءة القرآن باللحن يجب النهى عنها ويجب تلقين الصحيح . فإن كان المعتكف فى المسجد يضيع أكثر أوقاته فى أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به ، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه . وإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا . وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذى يكثر اللحن فى القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فإنه عاص به ، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرؤه لحنا فليتركه

وليجتهد فى تعلم الفاتحة وتصحيحها ، وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ، ولكن ينبغى أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره .

٣ – تطويل الأذان .

□ إن استرسال المؤذنين فى الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر فى الحيعلتين أو انفراد كل واحد منهم بأذان ، ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر ، بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات ، فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها ، فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها ومن المكروه أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر فى مسجد واحد فى أوقات متعاقبة متقاربة .

٤ – بعض ثياب الخطيب .

□ عندما يكون الخطيب لابسا لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم أو ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى اللّه تعالى البيض .

٥ – بعض كلام الوعاظ .

□ كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة ، فالقاص إن كان يكذب فى أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب ، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه إما للكافة أن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدع .

قال اللّه تعالى : ﴿ **فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره** ﴾(٨٧)

[جاء فى تفسير ابن كثير] أى حتى يأخذوا فى كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب .

وإذا كان الواعظ شابا متزينا للنساء فى ثيابه وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه ، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح ، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله ، بل ينبغى أن لا يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكنية والوقار وزيه زى الصالحين ، ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة للفساد .

٦ – منكرات البيع والشراء .

□ وكل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشترى فهو حرام .

٧ – بعض ما هو مباح خارج المسـجد .

□ ومنها ما هو مباح خارج المسـجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا فى المسجد أيضا لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصليين ويشوش عليهم صلاتهم ، فإن لم يكن شىء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه .. ولكن شرط إباحته أن يجرى فى أوقات نادرة وأيام معدودة ، فإن اتخاذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه . فمن المباحات ما يباح بشرط القلة .

٨ – المجانين والصبيان والسكارى .

□ ومن المنكرات دخول المجانين والصبيان والسكارى فى المسجد ، ولا بأس بدخول الصبى المسجد إذا لم يلعب ، ولا يحرم عليه اللعب فى المسجد

---

(٨٧) الأنعام : ٦٨ .

ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه . فهذا مما يحل قليله دون كثيره .

فإن قال قائل : ينبغى أن يُضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا قلنا : لا ، بل ينبغى القعود فى المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان فى الحال عاقلا ، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين . وأما لمجرد الرائحة فلا . نعم إذا كان يمشى بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه فى المسجد وغير المسجد منعا له عن إظهار أثر السكر ، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصى يجب تركها ، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها .

ثانيا : منكرات الأسـواق

١ - الكذب فى المرابحة .

□ من المنكرات المعتادة فى الأسواق الكذب فى المرابحة ، وإخفاء العيب ، فمن قال : اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق . وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشترى بكذبه ، فإن سكت مراعاة لكسب البائع كان شريكا فى الخيانة وعصى بسكوته ، وكذا إذا علم به عيبا فيلزمه أن ينبه المشترى عليه والا كان راضيا بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام وكذا التفاوت فى المكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالى حتى يغيره .

٢ - الشروط الفاسـدة .

فى حالة الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الأنكار فيها فإنها مفسـدة للعقود .

٣ - بيع الملاهى والحيوانات المصورة .

ومنها بيع الملاهى وبيع اشكال الحيوانات المصوّرة فى أيام العيد لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهى وكذلك بيع الأوانى المتّخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير ، وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التى يلبس على الناس بابتذالها ، وكذلك تلبيس انخزاق الثياب بالرفو وما يؤدى إلى الالتباس .



ثالثا : منكرات الشـوارع

□ من المنكرات المعتادة فيها : وضع الاسطوانات وغرس الأشجار ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق ، فكل ذلك منكر إن كان يؤدى إلى تضييق الطرق واستضرار [أى ضرر] المارة وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة فى الطريق فى القدر الذى ينقل إلى البيوت ، فإن ذلك يشترك فى الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه ، وكذلك ربط الدواب على الطريق [وبالطبع ما يماثلها من سيارات الآن] بحيث يضيق الطريق وينجس المارة منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب .

□ ومنها سَوْق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان أمكن شدها وضمها بحيث لا تمزق ، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع [ويقابل ذلك مرور العربات السريعة فى طريق به ماء أو تراب يؤذى المارة وما شابه ذلك] .

□ وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه .

□ وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح فى الطريق ويلوث الطريق بالدم .

□ وكذلك طرح القمامة فى الطريق ؛ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر .

□ وكذلك ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطريق من غير كسح ، فذلك منكر ، ولكن ليس يختص به شخص معين ، [إلا إذا تسبب فيها شخص معين] . فالمطر حسبة عامة وعلى الولاة تكليف الناس القيام بها ، وليس للآحاد فيها إلّا الوعظ فقط .

□ وإذا كان لشخص كلب عقور فى باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه .

رابعا : منكرات الحمامات

□ منها الصورة التى تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر ، فإن كان الموضع مرتفعا لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر ، فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ، ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صورة الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان .

□ ومنها كشف العورات والنظر إليها . ومن جملتها كشف الدَّلاك [القائم بالدَّلْك] عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزرار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها .

□ ومنها الانبطاح على الوجه بين يدى الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز فهذا مكروه أن كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا إذا لم يخش من حركة الشهوة .

□ ومنها غمس اليد والأوانى النجسة فى المياه القليلة ، وغسل الإزار والطاس النجس فى الحوض وماؤه قليل فإنه منجس للماء ، إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكى وشافعى فى الحمام فليس للشافعى منع المالكى من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف ، وهو أن يقول له : انا نحتاج أن نغسل اليد أولا ثم نغمسها فى الماء ، وأما أنت فمستغن عن إيذائى وتفويت الطهارة على ، وما يجرى مجرى هذا ، فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر .

□ ومنها أن يكون فى مداخل بيوت الحمام ومجارى مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون .

□ وفى الحمام أمور أخرى مكروهة .

خامسا : منكرات الضيافة

☐ منها فرش الحرير للرجال فهو حرام ، وكذلك تبخير البخور فى مجمرة فضة أو ذهب ، أو الشراب أو استعمال ماء الورد فى أوانى الفضة .

☐ ومنها إسدال الستور وعليها الصور ، ومنها سماع الأوتار .

☐ **ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان فى الرجال شباب يخاف الفتنة منهم** ، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ، ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج .

☐ وأما الصور التى على النمارق والزرابى المفروشة [أى الوسائد والبسط المفروشة] فليس منكرا ، وكذلك على الأطباق والقصاع ، لا الأوانى التى على شكل الصور ، فقد تكون رءوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه .

☐ وإذا كان الطعام حراما ، أو كان الموضع مغصوبا أو كانت الثياب المفروشة حراما فهو من أشد المنكرات ، فإن كان من فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ، ولا يجوز مجالسة الفاسق فى حالة مباشرته للفسق ، وإنما النظر فى مجالسته بعد ذلك . وإن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة . فإن كان الثوب على صبى غير بالغ فهذا فى محل النظر ، والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان كان مميزا فإن شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده ، فيكون بذلك بذرا للفساد يبذر فى صدره ، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ . أما الصبى الذى لا يميز فيضعف معنى التحريم فى حقه .

☐ ولا أرى رخصة فى تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها ، فهذا وإن كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب ، والأجرة المأخوذة عليه حرام [نظرا لإيلامه للصبية] .

□ ومنها أن يكون فى الضيافة مبتدع يتكلم فى بدعته ، فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه ؛ فإن كان لا يقدر عليه لم يجز . فإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه .

□ وإن كان فى الضيافة مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار عليه ، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح – أعنى ما يقل منه – فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح . وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصدبه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة . – [التلبيس هو ستر الحقيقة وإظهارها بخلاف ما هى عليه] .

□ ومنها الإسراف فى الطعام والبناء فهو منكر ، بل فى المال منكران ؛ أحدهما . الإضاعة . والآخر : الإسراف .

– فالإضاعة : تفويت المال بلا فائدة يعتد بها كإحراق الثوب وتمزيقه ، وهدم البناء من غير غرض ، وفى معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب وفى أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة .

– وأما الاسراف : فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات ، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات فى جنسها ولكن مع المبالغة ، والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول : من لم يملك إلا مائة دينار مثلا ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع فى وليمة فهو مسرف يجب منعه قال تعالى : ﴿ **ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾[٨٨] .

[جاء فى تفسير ابن كثير فى شرح الآية : لا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك ، وتُخرجَ أكثر من دخلك ، فتقعد ملوما محسورا ، وهذا من باب اللف والنشر أى : فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك ، ومتى بسطت يدك فوق طاقتك ، قعدت بلا شيء تنفقه ، فتكون كالحسير – وهو الدابة التى قد عجزت عن السير ، فوقفت ضعفا وعجزا ، فإنها

(٨٨) الإسراء : ٢٩ .

تسمى الحسير ، وهو مأخوذ من الكلال [أى التعب والإعياء] ، كما قال تعالى : ﴿ **فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرّتين ، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** ﴾(٨٩) أى : كليل عن أن يرى عيبا ، هكذا فُسِّرت هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف] .

وقد نزلت ﴿ **ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** ﴾ فى رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يُبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر .

□ وقال تعالى : ﴿ **ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** ﴾(٩٠) [جاء فى تفسير ابن كثير : لما أمر الله بالانفاق نهى عن الاسراف فيه ، بل يكون وسطا ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾(٩١) . ثم قال منفرا عن التبذير والسرف : ﴿ **إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين** ﴾ ، أى أشباههم فى ذلك .

وقال ابن مسعود : التبذير الانفاق فى غير حق .

وقد أتى رجل من بنى تميم إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله ، إنى ذو مال كثير ، وذو أهل وولد وحاضره (أى قرابة) ، فأخبرنى : كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال الرسول ﷺ :

« **تخرج الزكاة من مالك ، فإنها طُهْرة تطهرك ، وتصل أقرباءك ، وتعرف حق السائل والجار والمسكين . فقال : يا رسول الله ؟ أقلل لى ؟ فقال (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) . فقال : حسبى يا رسول الله ، إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله ؟ فقال رسول الله ﷺ :**

« **نعم إذا أديتها إلى رسولى فقد برئت منها ، فلك أجرها ، وإثمها على من بدلها** »(٩٢) .] .

---

(٨٩) الملك : ٤ .

(٩٠) الإسراء : ٢٦ .

(٩١) الفرقان : ٦٧ .

(٩٢) أخرجه الامام أحمد .

□ فمن يسرف ينكر عليه ويجب على القاضي أن يحجر عليه ؛ إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة فى التوكل صادقة ؛ فله أن ينفق جميع ماله فى أبواب البر . ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله ، وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم ، وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ، ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة ، وكذا الدور ، وكذلك القول فى التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح فى جنسه ، ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وثروته . وأمثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها .

□ فقس بهذه المنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وحانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها .

سادسا : المنكرات العامة

☐ اعلم أن كل قاعد فى بيته – أينما كان – فليس خاليا فى هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع فى شروط الصلاة فى البلاد فكيف فى القرى والبوادى ؟ ومنهم الأعراب والأكراد وسائر أصناف الخلق ، وواجب أن يكون فى مسجد من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا فى كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض العين وتفرغ لفرض الكفاية – أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا عم الحرج الكافة أجمعين .

☐ أما العالم – [فمنكره] – تقصيره فى الخروج . وأما الجاهل فلتقصيره فى ترك العلم .

☐ وكل عامى عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك فى الإثم ، ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم ، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها .

☐ وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء ، وللإنسان أن يقعد فى بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة ، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهى . وكذلك أمر من تيقن فى السوق منكرا يجرى على الدوام .

☐ وحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ، ثم يعلم ذلك أهل بيته ، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ، ثم إلى أهل محلته ، ثم إلى أهل بلده وهكذا إلى أقصى العالم .. فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا التزم به كل قادر عليه قريبا كان أو بعيدا ، ولا يسقط الحرج

ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه ، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات فى التفريعات النادرة والتعمق فى دقائق العلوم التى هى من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .



الباب الرابع

فى أمر الأمراء والسلاطين ونهيهم عن المنكر

١ - من عادات السلف

□ ذكرنا درجات الأمر بالمعروف - فيما سبق - وأن أوله التعريف ، وثانيه الوعظ ، وثالثه التخشين فى القول ، ورابعه المنع بالقهر فى الحمل على الحق بالضرب والعقوبة .

□ والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما : التعريف والوعظ . وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية من السلطان ، فإن ذلك يحرّك الفتنة ويهيج الشر ، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر ، وأما التخشين فى القول كقوله : يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجرى مجراه فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز ، وإن كان لا يخاف على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه .

□ لقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة . قال رسول الله ﷺ : « **خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله تعالى فقتله على ذلك** »(٩٣) وقال ﷺ : « **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** » . ووصف النبى ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : « **قرن من حديد لا تأخذه فى الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق** »(٩٤) .

□ ولما علم المتصلبون فى الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر ، وأن صاحب ذلك إذا قُتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار ، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه فى ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله .. وفيما يلى حكايات عن وعظ السلاطين وكيفية الانكار عليهم .

---

(٩٣) أخرجه الحاكم .

(٩٤) رواه الترمذى والطبرانى .

٢ – بين أبى بكر وأكابر قريش

□ عن عزوة رضى اللّه عنه قال : قلت لعبد اللّه بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول اللّه ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته : فقال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذُكِر رسول اللّه ﷺ فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرّق جماعتنا وسب آلهتنا ، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم – أو كما قالوا – فبينما هم فى ذلك إذ طلع عليهم رسول اللّه ﷺ فأقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول اللّه ﷺ ثم مضى ، فلما مر ثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه عليه السلام ثم مضى ، فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال :

« اتسمعون يا معشر قريش : أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح » .

فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أن أشدّهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه [أى يدعو له ويرافقه] بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول :

– انصرف يا أبا القاسم راشدا فواللّه ما كنت جهولا .

فانصرف رسول اللّه ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا فى الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض .

– ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه

فبينما هم فى ذلك إذ طلع رسول اللّه ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا ؟ أنت الذى تقول كذا ؟

– لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم –

فيقول رسول الله ﷺ :

« **نعم أنا الذى أقول ذلك** » .

فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه دونه يقول وهو يبكى :

– ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ :

ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه(٩٥) .

□ وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال :

أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم(٩٦) .

---

(٩٥) رواه البخارى وابن حبان .

(٩٦) رواه البخارى .

٣ - بين معاوية والخولانى

□ روى أن معاوية رضى اللّه عنه حبس « العطاء » فقام إليه أبو مسلم الخولانى فقال له :

– يا معاوية إنه ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك ولا من كد أمك .
فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم :

– مكانكم .

وغاب [معاوية] عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال :

– إن أبا مسلم كلمنى بكلام أغضبنى وانى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول :

« **الغضب من الشيطان والشيطان خُلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل** »[٩٧] . وإنى دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدى ولا من كد أبى فهلموا إلى عطائكم .

---

(٩٧) رواه أبو نعيم فى الحلية .

٤ – بين عمر بن الخطاب وضبه

□ روى عن ضبة بن محصن قال :

كان علينا أبو موسى الأشعرى أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد اللّه وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ وأنشأ يدعو لعمر رضى اللّه عنه ، فغاظنى ذلك منه . فقمت إليه فقلت له :

– أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟

فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكونى يقول [فى شكواه] :

إن ضبة بن محصن الغزى يتعرض لى فى خطبتى ، فكتب إليه عمر : أن أشخصه إلى [أى أرسله إلى بشخصه] . فأشخصنى إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال :

– من أنت ؟

فقلت : أنا ضبة . فقال لى :

– لا مرحبا ولا أهلا ، قلت :

– أما المرحب فمن اللّه ، وأما الأهل فلا أهل لى ولا مال ، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصى من مصرى بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته ؟ فقال :

– ما الذى شجر بينك وبين عاملى . قلت :

– الآن أخبرك به ، إنه كان إذا خطبنا حمد اللّه وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم أنشأ يدعو لك فغاظنى ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه ؟ فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكونى .

فاندفع عمر رضى اللّه عنه باكيا وهو يقول :

– أنت واللّه أوفق منه وأرشد ، فهل أنت غافر لى ذنبى يغفر اللّه لك .

قلت : غفر الله لك يا أمير المؤمنين .

ثم أندفع باكيا وهو يقول :

– والله لليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه ؟

قلت : نعم ، قال :

□ أما الليلة : فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر ، فجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره ، فقال رسول الله ﷺ :

« – **ما هذا يا أبا بكر ؟ ما أعرف هذا من أفعالك** » .

فقال : يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ، ومرة عن يسارك ، لا آمن عليك .

فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت ؛ فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتدبه حتى أتى فم الغار فأنزله ، ثم قال :

– والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بى قبلك .

فدخل فلم يَرَ فيه شيئا فحمله فأدخله ، وكان فى الغار خرق فيه حيّات وأفاعٍ فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه ، وجعل يضربن أبا بكر فى قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ، ورسول الله ﷺ يقول له :

« – **يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا** » فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبى بكر ، فهذه ليلة .

□ وأما يومه ، فلما توفى رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم :

– نصلى ولا نزكى فأتيته لا آلوه نصحا فقلت :

– يا خليفة رسول اللّه ﷺ تألف الناس وارفق بهم .

فقال لى : أجبار فى الجاهلية خوَّار فى الإسلام ؟ فبماذا أتألفهم ؟ ، قبض رسول اللّه ﷺ وارتفع الوحى فواللّه لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسول اللّه لقاتلتهم عليه ؟

فقاتلنا عليه فكان واللّه رشيد الأمر .

فهذا يومه ...

ثم كتب إلى أبى موسى يلومه(٩٨)....

---

(٩٨) جاء فى الصحيحين مع اختلاف السياق .

٥ - بين عبد الملك وابنه الوليد وعطاء

□ دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان - وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة فى وقت حجة فى خلافته ، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له :

- يا أبا محمد ما حاجتك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين اتق اللّه فى حرم اللّه وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة ، واتق اللّه فى أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق اللّه فى أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين ،

وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم .

واتق اللّه فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم .

فقال له : أجل أفعل ؟

ثم نهض وقام . فقبض عليه عبد الملك فقال :

- يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت فقال [ابن عطاء] - مالى إلى مخلوق حاجة . ثم خرج .

فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ! .

□ روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما :

- قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثنى .

فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لا يعرفه فقال له :

- يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك .

فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز ، فلما دنا عطاء من الوليد قال :

السلام عليك يا وليد .

فغضب الوليد على حاجبه وقال له :

– ويلك ، أمرتك أن تدخل إلىّ رجلا يحدثنى ويسامرنى فأدخلت إلى رجلا لـم يرض أن يسمينى بالاسم الذى اختاره اللّه لى .

فقال له حاجبه :

– ما مر بى أحد غيره . ثم قال لعطاء :

– اجلس .

ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له :

– بلغنا أن فى جهنم واديا يُقال له هبهب أعده اللّه لكل إمام جائر فى حكمه ، فصعق الوليد من قوله ، وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشيا عليه . فقال عمر لعطاء :

– قتلت أمير المؤمنين .

فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له :

– يا عمر إن الأمر جد فجد .

ثم قام عطاء وانصرف . فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه أنه قال :

– مكثت سنة أجد ألم غمزته فى ذراعى .

٦ - بين عبد الملك وابن أبى شـميلة

□ كان ابن أبى شميلة يوصف بالعقل والأدب ، فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : تكلم قال :

- بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله ؟ فبكى عبد الملك ثم قال :

- يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصلون .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ان الناس فى القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه .

فبكى عبد الملك ثم قال :

- لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عينى ما عشت .

٧ - بين الحجاج والحسن البصرى

□ ويروى عن ابن عائشة ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه ، ودخل الحسن البصرى رحمه الله آخر من دخل ، فقال الحجاج مرحبا بأبى سعيد إلى ، ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه ، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقا من شره ، والحسن ساكت عاض على إبهامه ؛ فقال :

- يا أبا سعيد ما لى أراك ساكتا ؟

قال : ما عسيت أن أقول .

قال : أخبرنى برأيك فى أبى تراب .

قال : سمعت الله جل ذكره يقول ﴿ **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾[٩٩] .

فعلى ممن هدى الله من أهل الإيمان . فأقول :

ابن عم النبى عليه السلام وخَتَنه على ابنته [أى زوج ابنته] وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها . وأقول : إن كانت لعلى هناة فالله حسبه والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا ..

فبسر وجه الحجاج [أى تقطب] وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبى : فأخذت بيد الحسن فقلت :

- يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره .

---

(٩٩) البقرة : ١٤٣ .

فقال : إليك عنى يا عامر ، يقول الناس عامرا الشعبى عالم أهل الكوفة . أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه فى رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت ، أو سكت فسلمت ؟ .

قال عامر : – يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها .

قال الحسن : فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة .

قال : وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال :

– أنت الذى تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟

قال : نعم ، قال : ما حملك على هذا؟

قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿ **ليبيننه للناس ولا يكتمونه** ﴾ .

قال : يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك .

٨ - بين الحجاج وحطيط

□ حكى أن حطيطا الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط قال : نعم ، سل عما بدا لك . فإنى عاهدت الله - عند المقام - على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن

وإذا ابتليت لأصبرن

وإن عوفيت لأشكرن .

قال فما تقول فيّ ؟

قال : أقول أنك من أعداء الله فى الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة .

قال : فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟

قال : أقول إنه أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه .

فقال الحجاج : صبوا عليه العذاب .

فانتهى العذاب به إلى أن شُقّق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئا .

فقيل للحجاج : إنه فى آخر رمق [أى على وشك الموت] .

فقال : أخرجوه فارموا به فى السوق .

قال جعفر : فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له :

- حطيط ألك حاجة ؟

قال شربة ماء .

فأتوه بشربة ثم مات ، وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه .

٩ – بين ابن هبيرة والحسن والشعبى

□ روى أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبى فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ، ثم أقبل على الحسن البصرى فسأله ، ثم قال : هما هذان ، هذا رجل أهل الكوفة – يعنى الشعبى – وهذا رجل أهل البصرة – يعنى الحسن – فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبى والحسن ، فأقبل على الشعبى فقال : يا أبا عمرو انى أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم ، فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم ، وقد يبلغنى عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فأضعه فى بيت المال ومن نيتى أن أرده عليهم .

فبلغ أمير المؤمنين أنى قد قبضته على هذا النحو فكتب إلى أن لا ترده فلا استطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه ، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة . فهل على فى هذا تبعة وفى أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت ؟

قال الشعبى : أصلح اللّه الأمير إنما السلطان والد يخطىء ويصيب فسر ابن هبيرة بقوله وأعجب به وظهر البشر فى وجهه وقال فلله الحمد ، ثم أقبل على الحسن فقال :

– ما تقول يا أبا سعيد .

قال : قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم والنصحية لهم والتعهد لما يصلحهم ، وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة ، وإنى سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشى صاحب رسول اللّه ﷺ يقول : قال

رسول الله ﷺ : « **من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة** »[(١٠٠)] .

ويقول : أنى ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم ، فيبلغ أمير المؤمنين أنى قبضتها على هذا النحو فيكتب إلى أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ كتابه . وحق اللّه ألزم من حق أمير المؤمنين ، واللّه أحق أن يطاع ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب اللّه عز وجل ؛ فإن وجدته موافقا لكتاب اللّه فخذ به وإن وجدته مخالفا لكتاب اللّه فانبذه ؛ يا ابن هبيرة اتق اللّه فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك ، وتنزل على عملك ؛ يا ابن هبيرة ان اللّه يمنعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من اللّه وإن أمر اللّه فوق كل أمر ، وأنه لا طاعة فى معصية ، وأنه لا طاعة فى معصية اللّه وإنى أحذرك بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين .

فقال ابن هبيرة : أربع على ضلمك أيها الشيخ ، وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين ؟ فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وانما ولّاه اللّه تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة ليعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته .

فقال الحسن : يا ابن هبيرة : الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب واللّه بالمرصاد ، يا ابن هبيرة : إنك إن تلق من ينصح لك فى دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك .

فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه ..

قال الشعبى : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفة وصلته فقال :

– إليك عنى يا عامر .

---

(١٠٠) رواه الشيخان .

قال : فخرجت إلى الحسن التحف والطرف ، وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك به . فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربى بين المقارف وما شهدنا مشهدا إلا برز علينا .

وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم .

قال عامر الشعبى : وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه ...

١٠ – بين أبى جعفر وابن أبى ذؤيب

□ قال محمد بن على : انى لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وفيه ابن أبى ذؤيب ، وكان والى المدينة الحسن بن زيد قال :

فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبى جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد .

فقال الحسن : يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبى ذؤيب .

فسأله ، فقال : ما تقول فيهم يا ابن أبى ذؤيب ؟

فقال : أشهد أنهم أهل تحطم فى أعراض الناس كثير والأذى لهم .

فقال أبو جعفر : قد سمعتم ، فقال الغفاريون : يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد ،

فسأله فرد ابن أبى ذؤيب : أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه .

فقال : قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبى ذؤيب وهو الشيخ الصالح ؟

فقال : يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك .

فقال : ما تقول فى ؟ قال : تعفينى يا أمير المؤمنين .

قال أسألك بالله إلا أخبرتنى .

قال : تسألنى بالله كأنك لا تعرف نفسك ؟

قال : والله لتخبرنى .

قال : أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته فى غير أهله . وأشهد أن الظلم ببابك فاش .

فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده فى قفا ابن أبى ذؤيب فقبض عليه ثم قال له :

أما والله لولا أنى جالس هاهنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك !

قال ابن أبى ذؤيب : والله يا أمير المؤمنين إلى لأنصح لك من ابنك المهدى ، قال : فبلغنا أن ابن أبى ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثورى فقال له : يا أبا الحرث لقد سرنى ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءنى قولك له ابنك المهدى ، فقال : يغفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدى كلنا كان فى المهد .

١١ - بين أبى جعفر والأوزاعى

□ وعن الأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو قال :

بعث إلى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته ، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد على واستجلسنى ثم قال لى :

- ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعى ؟

قلت : وما الذى تريد يا أمير المؤمنين ؟

قال : أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم .

فقلت : فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك .

قال : وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له ؟

قلت : أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به .

فصاح بى الربيع وأهوى بيده إلى السيف .

فانتهره المنصور وقال : هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة .

فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام فقلت :

يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال : قال رسول الله ﷺ :

□ « **أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه** »(١٠١) يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال :

□ قال رسول الله ﷺ : « **أيما والٍ مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة** »(١٠٢) .

---

(١٠١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى مواعظ الخلفاء .

(١٠٢) اخرجه ابن أبى الدنيا وابن عدى فى الكامل .

□ يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره اللّه ، إن اللّه هو الحق المبين . إن الذى ليّن قلوب أمتكم لكم حين ولّاكم أموركم لقرابتكم من رسول اللّه ﷺ وقد كان بهم رءوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده محمودا عند اللّه وعند الناس فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق . وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا . لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب . تبتهج بالنعمة عندهم ، وتبتئس بما أصابهم من سوء .

□ يا أمير المؤمنين قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم – أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم – وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا انبعث منهم فئام[١٠٣] وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه ؟

□ يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال :

كانت بيد رسول اللّه ﷺ جريدة يستاك[١٠٤] بها ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له :

يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا[١٠٥] ؟ فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وضرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه ؟

□ يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول اللّه ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأتاه جبريل عليه السلام فقال :

يا محمد إن اللّه لم يبعثك جبارا ولا متكبرا .

فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال :

« **إقتص منى** » .

---

(١٠٣) فئام أى : جماعة من الناس .

(١٠٤) يستخدمها كمسواك .

(١٠٥) أخرجه ابن أبى الدنيا .

فقال الأعرابى : قد أحللتك ؛ بأبى أنت وأمى وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى . فدعا له بخير(١٠٦) .

□ يا أمير المؤمنين رُضْ نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب فى جنة عرضها السماوات والأرض التى يقول فيها رسول الله ﷺ :

« **لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها** »(١٠٧) .

□ يا أمير المؤمنين أتدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك - ﴿ **يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾(١٠٨) .

قال الله تعالى فى الزبور :

يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة ، يا داود انما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء .

□ يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه .

□ يا أمير المؤمنين حدثنى يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال له :

- ما منعك من الخروج إلى عملك ؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد فى سبيل الله .

قال : لا .

قال : وكيف ذلك ؟

---

(١٠٦) أخرجه ابن أبى الدنيا وروى أبو داود والنسائى ما شابه ذلك .

(١٠٧) أخرجه ابن أبى الدنيا ورواه البخارى .

(١٠٨) سورة ص : ٢٦ .

قال : انه بلغنى أن رسول اللّه ﷺ قال :

« ما من والٍ يلى شيئا من أمور الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا بإحسانه وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا »(١٠٩) .

فقال له عمر رضى اللّه عنه ! ممن سمعت هذا ؟

قال : من أبى ذرّ وسلمان . فأرسل اليهما عمر فسألهما فقالا : نعم سمعناه من رسول اللّه ﷺ فقال عمر :

– واعمراه من يتولاها بما فيها ؟ ...

فقال أبو ذر رضى اللّه عنه : من سلت للّه أنفه وألصق خده بالأرض . فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى .

□ ثم قلت : يا أمير المؤمنين قد سأل جدّك العباس النبى ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبى ﷺ :

« يا عباس ياعم النبى نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها(١١٠) نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغنى عنه من اللّه شيئا إذا أوحى اللّه إليه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾(١١١) .

فقال : « يا عباس ويا صفية عمى النبى ويا فاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من اللّه شيئا إن لى عملى ولك عملكم »(١١٢) .

□ وقد قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه : لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حره ولا تأخذه فى اللّه لومة لائم .. وقال :

(١٠٩) أخرجه ابن أبى الدنيا ورواه الطبرانى برواية أخرى .

(١١٠) أخرجه ابن أبى الدنيا .

(١١١) الشعراء : ٢١٤ .

(١١٢) رواه ابن أبى الدنيا والبخارى .

الأمراء أربعة : فأمير قوى ظلف [أى نزه] نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة ، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمير ظلف عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله ﷺ :

« شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده »(١١٣) .

وأمير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا . [أرتع أى وقع فى خصب] .

وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبى ﷺ فقال :

– اتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة . فقال له : يا جبريل صف لى النار . فقال :

إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها ، والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التى ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ، ولو أنّ رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه !

فبكى النبى ﷺ وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال :

– أتبكى يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال :

أفلا أكون عبدا شكورا ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه قال :

– أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء :

---

(١١٣) رواه مسلم .

– يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة[١١٤] .

□ وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

● اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الخصمان بين يدى على من مال الحق من قريب . أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين .

● يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى ، وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أزله الله ووضعه . فهذه نصيحتى إليك والسلام عليك .

□ ثم نهضت فقال لى : إلى أين ؟

فقلت : إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله .

فقال : قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه ، وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبى ونعم الوكيل فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصحية .

قلت : أفعل إن شاء الله .

□ قال محمد بن مصعب : فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال :

– أنا فى غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا :

وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك .

---

(١١٤) أخرجه ابن دنيا بغير إسناد .

١٢ – بين المنصور ومظلوم

□ وقدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها اللّه حاجا ، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف فى آخر الليل يطوف ويصلى ولا يعلم به ، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فصلى بالناس ، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول :

اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع .

فأسرع المنصور فى مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له : أجب أمير المؤمنين . فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلّم عليه فقال له المنصور :

– ما هذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض وبما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم ؛ فواللّه لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى وأقلقنى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل .

فقال له : أنت آمن على نفسك .

فقال : الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت .

فقال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى ؟

قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ؟ إن اللّه تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وأهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر [نوع من الطلاء الكلسى والطين

المشوى] وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ، ثم سجنت نفسك فيها منهم وبعثت عما لك فى جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعوانا ظَلَمة إن نسيت لم يذكّروك ، وإن ذكرت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العارى ، ولا الضعيف ، ولا الفقير ، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ألا يحجبوا عنك تجنى الأموال ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان اللّه فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا ؟ فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم ، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوّوا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية ، فامتلأت بلاد اللّه بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك وأنت غافل ؛ فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت [بمعنى خصصت] للناس رجلا ينظر فى مظالمهم ؛ فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكّنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ؛ فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا [أى عبرة] لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير ؛ فما بقاء الإسلام وأهله على هذا .

□ ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهى إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فيُنصف ؛ ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم ينادى : يا أهل الإسلام . فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينصَف .

□ ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرّة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكى فقال له وزراؤه :

– ما لك تبكى لا بكت عيناك ؟

فقال : أما إنى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته . ثم قال :

– أما إن كان قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب نادوا فى الناس : ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم ، فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه ؟

هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه ، وأنت مؤمن بالله وابن عم نبى الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك ؛ فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة :

● إن قلت أجمعها لولدى فقد أراك الله عبرا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء .

● وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تُدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل ؟ قال : لا ، قال : فكيف تصنع بالمُلْك الذى خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الأليم وهو الذى يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك ؟ فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب ؟ هل يغنى عنك عنده شىء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا ؟

فبكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال : يا ليتنى لم أخلق ولم أك شيئا ، ثم قال :

كيف احتيالى فيما خوّلت فيه ولم أر من الناس إلا خائنا ؟

قال : يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين .

قال : ومن هم .

قال : العلماء .

قال : قد فروا منى .

قال : هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك .

فقال المنصور : اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل .

وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرس :

عليك بالرجل إن لم تأتنى به لأضربن عنقك ، واغتاظ عليه غيظا شديدا فخرج الحرس يطلب الرجل فبينما هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلى فى بعض الشعاب . فقعد حتى صلى ثم قال :

– يا ذا الرجل « أما تتقى اللّه » ؟

قال : بلى .

قال : أما تعرفه ؟

قال : بلى .

قال : فانطلق معى إلى الأمير فقد آلى أن يقتلنى إن لم آته بك .

قال : ليس لى إلى ذلك سبيل .

قال : تقتلنى .

قال : لا .

قال : كيف .

قال : تحسن تقرأ .

قال : لا .

فأخرج من مزود [بمعنى حقيبة] كان معه ورقا مكتوبا فيه شيء فقال : خذه فاجعله فى جيبك فإن فيه دعاء الفرج .

قال : وما دعاء الفرج .

قال : لا يرزقه إلا الشهداء .

قلت : رحمك الله لقد أحسنت إلى فإن رأيت أن تخبرنى ما هذا الدعاء وما فضله ؟ قال : من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له رزقه وأعطى أمله وأعين على عدوه و كتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا . تقول : اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك ، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك أجعل لى من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا . اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا المسيء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فعد بفضلك وإحسانك على انك أنت التواب الرحيم .

قال : فأخذته فصيرته فى جيبى ثم لم يكن لى هم غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلىّ وتبسم ثم قال :

« ويلك تحسن السحر ؟ »

فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ، ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال :

– هات الورق الذى أعطاك .

ثم جعل يبكى وقال : وقد نجوت »

وأمر بنسخه وأعطانى عشرة آلاف ، ثم قال : أتعرفه قلت : لا ، قال ذلك الخضر عليه السلام .

١٣ – بين الرشيد وابن المنذر

□ لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنأوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنيه ، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد ، وكان يظهر النسك والتقشف ، وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثورى قديما فهجره سفيان ولم يزره . فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلوا به ويحدّثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه . فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتابا يقول فيه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم من عبد اللّه هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد ، يا أخى قد علمت أن اللّه تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله وأعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم [أى أقطع] بها جعلك ولم أقطع منها ودك وإنى منطو لك على أفضل المحبة والإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها اللّه لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة ، واعلم يا أبا عبد اللّه أنه ما بقى من إخوانى واخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنانى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرّت به عينى وإنى استبطأتك فلم تأتنى ، وقد كتبت لك كتابا شوقا منى إليك شديدا .. وقد علمت يا أبا عبد اللّه ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل .

فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثورى وخشونته فقال : على برجل من الباب

فأذخل عليه رجل يُقال له عباد الطالقانى

فقال يا عباد خذ كتابى هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بنى ثور ، ثم سل عن سفيان الثورى فإذا رأيته فألق كتابى هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرنى به .

فأخذ عباد الكتاب وانطلق حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له : هو فى المسجد .

قال عباد : فأقبلت إلى المسجد فلما رآنى قام قائما وقال :

أعوذ بالله السميع العلم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير .

قال عباد : فوقعت الكلمة فى قلبى فجرحت ، فلما رآنى نزلت بباب المسجد قام يصلى ولم يكن وقت صلاة . فربطت فرسى بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رءوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته . فسلمت فما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام علىّ برؤوس الأصابع ، فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض على الجلوس . وقد علانى من هيبتهم الرعده . ومددت عينى إليهم فقلت إن المصلى هو سفيان . فرميت بالكتاب إليه . فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه ولفها بعباءته وأخذه ، فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال : يأخذه بعضكم يقرؤه فإنى استغفر الله أن أمسّ شيئا مسه ظالم بيده :

فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ، ثم فضه وقرأه ، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال : أقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا . فقيل له :

ما نكتب ؟ فقال اكتبوا :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذى سلب حلاوة الإيمان .

أما بعد ؛

فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى قد صرمت [أى قطعت] حبلك وقطعت ودك وقليت [أى بغضت] موضعك فإنك قد جعلتنى شاهدا عليك إقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته فى غير حكمة ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناءٍ عنى [أى مبتعد] حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك ، أما إنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى اللّه تعالى .

يا هارون هجمت على بيت المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض اللّه تعالى والمجاهدون فى سبيل اللّه وابن السبيل ، أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام ؟ أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد ياهارون مئزرك وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ، وأعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك إذ سلبت حلاوة الإيمان والزهد ولذيد القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما .

يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون ؟ يشربون الخمر ويضربون من يشربها ، ويزنون ويحدون الزانى ؟ ويسرقون ويقطعون يد السارق !

أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ؟

فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادى من قبل اللّه تعالى :

﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾

أى الظلمة وأعوان الظلم ، فقدمت بين يدى اللّه تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام

إلى النار ، كأنى بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة عن سيئاتك ، بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة .

فاحتفظ بوصيتى واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها ، واعلم أنى قد نصحتك وما « أبقيت لك فى النصح غاية ، فاتق الله يا هارون فى رعيتك واحفظ محمدا ﷺ فى أمته وأحسن الخلافة عليهم ، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك ، وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحد بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإنى أحسبك يا هارون خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام .

قال عباد : فألقى إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت :

يا أهل الكوفة ، يا قوم من يشترى زجلا هرب من الله إلى الله ؟

فأقبلوا إلى بالدنانير والدراهم ... فقلت :

لا حاجة لى فى المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة ، فأحضروا لى ذلك ونزعت ما كان علىّ من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون [وهى دابة الحمل الثقيل] وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين حافيا راجلا [أى ماشيا] فهزأ بى من كان على باب الخليفة . ثم استؤذن لى .

فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة قام وقعد ، ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول :

– انتفع الرسول وخاب المرسل ما لى وللدنيا ما لى وللملك يزول عنى سريعا ؟

ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى .

فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه :

يا أمير المؤمنين لقد أجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره .

فقال هارون : اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه والشقى من أهلكتموه ، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه . ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله . فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يُجازى والله ولى التوفيق .

١٤ – بين الرشيد وبهلول

□ حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل ، فخرج الناس ، وخرج بهلول المجنون فيمن خرج بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به ؛ إذا أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين

فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال : لبيك يا بهلول فقال :

يا أمير المؤمنين قال قدامة بن عبد الله العامرى : رأيت النبى ﷺ منصرفا من عرفة على ناقة صهباء ؛ [أى يخالط بياضها حمره] لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك[١١٥] .

وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال :

– يا بهلول زدنا رحمك الله .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعفّ فى جماله كُتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار .

قال : أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة .

فقال : أردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لى فيها .

قال الرشيد : يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه .

قال : يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز .

قال : يا بهلول فنجرى عليك ما يقوتك أو يقيمك .

---

(١١٥) أخرجه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجة .

فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال : يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني .

فأسبل هارون السجاف ومضى [السجاف ما يركب على الحواشي] .

١٥ - بين المأمون وعابد

☐ قال صالح بن المأمون : دخلت على الحرث المحاسبى رحمه الله فقلت له : يا عبد الله هل حاسبت نفسك ؟ فقال : كان هذا مرة . قلت له : فاليوم قال : أكاتم حالى ؟ إنى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسى ولولا أن يغلبنى فيها فرح ما أعلنت بها . ولقد كنت ليلة قاعدا فى محرابى فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علىّ ثم قعد بين يدى فقلت له : من أنت فقال : أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين فى محاريبهم ولا أرى لك اجتهادا فأى شىء عملك ؟

قلت له : كتمان المصائب واستجلاب الفوائد .

فصاح وقال : ما علمت أن أحدا بين جنبى المشرق والمغرب هذه صفته ؟

قال الحرث : فأردت أن أزيد عليه فقلت له :

- أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم ؟ قال الحرث :

فصاح صيحة غشى عليه منها فمكث عندى يومين لا يعقل ، ثم أفاق وقد أحدث فى ثيابه ، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له : هذا كفنى فقد أثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك فقال : هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له : أين تريد ؟ فقال لى : قم معى . فلم يزل يمشى حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال :

يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم ، استغفر الله من تقصيرى فيك ، أما تتقى الله تعالى فيما قد ملكك ؟

وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه المأمون وقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلى فلم أجد لنفسى فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلى ألحقهم .

فأمر المأمون بضرب عنقه ، فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا فى ذلك الثوب ومنادٍ ينادى : من ولى هذا فليأخذه .

قال الحرث : فأختبات عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله . فأقمت فى مسجد بالمقابر محزونا على الفتى فغلبتنى عيناى ، فإذا هو بين وصائف لم أر أحسن منهن وهو يقول :

– يا حرث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم .

قلت : وما فعلوا ؟ قال الساعة يلقونك ، فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن فى قلبه مما وصفت شيء فخرج للأمر والنهى وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده .

١٦ – بين المعتضد والنورى

كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ، ولا يفتش عما لا يحتاج إليه ، وكان إذا رأى منكرا غيّره ولو كان فيه تلفه ، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دنا [نوع من الأوانى] متوب عليها بالقار « لطف » فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم فى التجارات ولا فى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف . فقال للملاح : إيش فى هذا الدنان ؟

قال : وإيش عليك أمض فى شغلك ؟

فما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته فقال : أحب أن تخبرنى إيش فى هذا الدنان ؛

قال : وإيش عليك أنت والله صوفى فضولى ، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه ؟

فقال النورى : وهذا خمر ؟ قال : نعم .

فقال : أن تعطينى ذلك المدرى [وهو نوع من الحجر الطينى] فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه : أعطه حتى أنظر ما يصنع ، فلما صارت المدرى فى يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دنا دنا حتى أتى على آخرها إلا دنا واحدا ، والملاح يستغيث ، إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد ، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه .

ولم يشك الناس فى أنه سيقتله .

قال النورى : فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآنى قال : من أنت ؟ قلت : محتسب ، قال : ومن ولاك الحسبة ؟ قلت الذى ولاك الإمامة ولانى الحسبة يا أمير المؤمنين .

فأطرق أمير المؤمنين إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال :

- ما الذى حملك على ما صنعت ؟

فقلت : شفقة منى عليك إذ بسطت يدى إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه .

فأطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه إلى وقال :

- كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان ؟

فقلت : فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن . فقال : هات خبرنى ، فقلت يا أمير المؤمنين إنى أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك وغمر قلبى شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى ، فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسى كبرا على أنى أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال .

فقال المعتضد : أذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر .

قال النورى : يا أمير المؤمنين بغض إلىّ التغيير لأنى كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى .

فقال المعتضد : ما حاجتك ؟

فقلت : يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما .

فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة ، فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد ، فأقام بالبصرة إلى أن توفى المعتضد ثم رجع إلى بغداد .



وجاء فى نهاية كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأبى حامد الغـزالى :

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكونهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة ، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها .

وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا . ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والأكابر ؟ والله المستعان على كل حال .

تم بحمـد الله



الفهــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة